كامل كيلانى

قصص شكسبير

العاصفة

الطبعة السادسة عشرة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

مقدمة

أيها القارئ الصغير :

أنا شديد الإعجاب بك ، كثير الاغتباط ، شديد الفرح ، بما أحرزتَه (نلته) من نجاح ، عظيم الأمل فى تقدمك السريع .

وكيف لا أغتبط وتمتلئ نفسى سرورًا منك ، وإعجابًا بك ، وأملًا فيك ، بعد أن رأيتك تتدرج فى قراءتك فى « مكتبة الأطفال » بِخُطًى سريعة : من « قصص رياض الأطفال » إلى « القصص الفكاهية » إلى « قِصَصِ أَلْفِ لَيْلَةٍ » إلى « القصص الهندية » إلى « قصص جُحا » ، ثم إلى « قصص شكسبير » هذه .

فإذا انتهيتَ من قراءة هذه القصص الرائعة (التى تعجبك بحسنها) ، وأتممت قراءة ما يليها من القصص ، أصبح من اليسير عليك أن تقرأ « أساطير العالم » و « أشهر القصص » و « القصص العلمية » و « القصص الجغرافيــة » و « القصص العربية » وما إليها .

ومتى أتممت قراءتها أصبح فى قدرتك أن ترتقىَ منها إلى مكتبة الشباب .

• • •

وقد أخذت على نفسى أن أسهّلَ عليك القراءة ، فأبهجك وأمتع نفسك ، من غير أن

أ كلفك أى عناء . وأحسَبنى قد يسَّرتُ أمامك هٰذه الطريق الصعبة ، ومهدت لك كل ما كان يعترض طريق غيرك من الأطفال ، من عقباتٍ مضجرة ، ومتاعبَ مُمِلة ، مما عانيناه نحن فى طفولتنا ، وَقاسَيناه .

• • •

ولعلك — أيها الصديق الصغير — تنتفع بما فى هذه القصص من عِظات وعبر ؛ هى اللُّب (الخلاصة والصميم) الذى اخترناه لك فى طَيِّها ، ليكون غِذاء رُجولتك النبيلة ، و إلهام روحك العالى ، فى مستقبل أيامك السعيدة ، إن شاء الله[1] .

كامل كيلانى

(١) نثبت مقدمة الطبعة الأولى كما أثبتناها فى الطبعات السابقة .

« شكسپير »

١ — نشأته

ولد مؤلف هذه القصص الرائعة ، الشاعر العظيم « وليم شكسپير » فى بلدة « ستراتفورد » ؛ وهى مدينة صغيرة فى « إنجلترا » . وكانت ولادته فى شهر أبريل عام ١٥٦٤ م .

وكان أبوه « جون شكسپير » قصاباً (جزاراً) ، وهو — إلى ذلك — يتجر فى الأصواف فى تلك المدينة . ولم تكن أمه السيدة « مارى أردن » متعلمة . وكان « شكسپير » أكبر إخوته .

وقد اشتهر أبوه بالكرم وطيبة القلب . وتفشى الوبأ ، وكثر الطاعون وانتشر فى شهر يوليو عام ١٥٦٤ م ، أى فى السنة التى ولد فيها « شكسپير » ؛ فلم يقصّر أبوه فى معاونة البائسين والمعوزين ، فاستنفد ذلك ماله ، وأفنَى مال زوجه ، وأغرقهما الدَّيْن ؛ فعجزا عن الوفاء بما عليهما للدائنين . ولم يستطع « شكسپير » أن يتم دروسه التى كان يتلقاها فى إحدى المدارس الريفية ، بعد أن عجز أبواه عن الإنفاق عليه بسبب فقرهما ؛ فلم يمكث فى مدرسته إلا زمناً قصيراً .

٢ – فى دُكَّانِ أبيه

ولم يبلغ الثالثة عشرة من عمره ، حتى اضطُرَّ إلى احتراف مهنة أبيه ، بعد أن سُدَّتْ فى وجهه كل أبواب الرزق .

ومما يحكونه عنه : أنه كان إذا ذبح عجلا أو شاة (نعجة) ، تَألم لذلك أشد الألم ، ووقف يخطب رفاقه — فى بلاغة مؤثرة — ويُظهر أمامهم ما يشعر به من الألم العميق كلما هَمَّ بذبح حيوان .

ولقد قضى « شكسبير » حياته الأولى فى هَمٍّ وضنك ، وغمٍّ وضيق ، وتزوج وهو فى الثامنةَ عشرةَ من عمره ، ورُزِق ثلاثة أطفال : ولداً و بنتين . ولم يكن سعيداً فى زواجه ؛ فقد ألَحَّ عليه الفقر والبؤس ، حتى ساءت حاله ، واضطرب أمره .

٣ — هربه إلى « لندن »

ولم يبلغ العشرين حتى أوقعه فقره فى مأزِق حرج وَضيق شديد . فقد خرج ذات يوم مع بعض رفاقه ، وظلوا يصطادون الغِزلان والأرانب — على عادتهم — حتى ضبطهم السيد « توماس لوسى » وهم يصطادون فى مزرعته فى « شرليكونت » ، ورافعهم (شكاهم) إلى القضاء ؛ فقضى عليهم بالسجن ، وفرض عليهم غُرماً فادحاً (عقوبة مالية كبيرة) ، فاضطر « شكسبير » إلى الهرب . ولم يصل إلى مدينة « لندن » حتى نظم بعض الأشعار فى هَجْوِ السيد « توماس لوسى » .

٤ — فى مسرح « لندن »

وظل « شكسبير » يبحث فى مدينة « لندن » عن عمل يقتات منه ، فلم يجد أمامه غير المسرح ، وهو — بطبعه — مَيَّالٌ إليه ؛ فالتحق به ، وتحققت فيه كل أمانيه .

وكان أول عمل عهدوا به إليه أن يحرسَ جِياد النَّظارة (الخيل التى يملكها جُمهور الناظرين من شُهود التمثيل) ، ثم ارتقى فصار مُلقناً ، ثم ممثلًا ، ثم مؤلفاً صغيرًا ، ثم نابغةً فذا (مفردًا) منقطع النظير (لا مثيل له) .

ولم يكن فى مدينة « لندن » — حينئذٍ — إلا مسرح واحد مبنى بالخشب ، وليس له سقف . فلما جاء عام ١٥٩١ م ظهرت أولى رواياته ، وهى قصة : « رُوميو وجُلْيِيت » ، فنجحت نجاحاً باهرًا ، وأعجب بها جمهور النَّظارة إعجاباً شديدًا . وكانت سِنُّـهُ — حينئذٍ — سبعةً وعشرين عاماً .

٥ — فى ذروة الْمَجْد

ثم توالى نجاحه ، وذاع فضله ، حتى دعته ملكة إنجلترا : « إليصابات » ليمثِّل أمامها روايته التى ألفها عن أبيها : « هنرى الرابع » . وقد كان لتشجيعها أكبر أثر فى نفسه ، فتغنَّى بفضلها فى شعر رائع .

ولم يبلغ السابعة والأربعين حتى أتم ستًّا وثلاثين رواية تمثيلية : بعضها دِرامة ، وبعضها كومدْيا . وكان يؤلف فى كل عام روايتين تقريباً .

وهٰكذا ابتسم له الحظ ، وصَفَتْ له الأيام ، ونَمَت ثروته ؛ فأنقذ أباه من الفقر ، وَوَفى دَيْنه ، وأسعد أسرته .

ومازال يرتقى ويكبر شأنه ويذيع فضله ، حتى أصبح من أفذاذ شعراء العالم وعظماء الفكر الإنسانى ، فترجمت رواياته الرائعة (التى تَرُوعُك وتعجبك بحسنها) إلى أكثر اللغات .

وسترى — أيها القارئ الصغير — فى هٰذه الروايات ما يَبْهجك من أسمى ألوان الخيال العالى التى جاد بها هٰذا الشاعر العظيم ، وبدائع الصور البيانية التى ابتدعتها طبيعة نفسه الفنية الشاعرة .

كامل كيلانى

١ – تَمْهِيدٌ

لَعلَّكَ تَعْرِفُ – أَيُّها القارِئُ الصَّغِيرُ – اسْمَ ذٰلِكَ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ الذي يَفْصِلُ الْقارَّةَ الإِفْرِيقِيَّةَ عَنِ الْقارَّةِ الْأُورُبِّيَّةِ. وَلَعلَّكَ قَدْ وَقَفْتَ – ذاتَ يَوْمٍ – عَلَى شاطِئِ هٰذا الْبَحْرِ الْعَظِيمِ، وَرَأَيْتَ ماءَهُ الْأَزْرَقَ! فإذا كُنْتَ لَمْ تَرَ هٰذا الْبَحْرَ فِي حَياتِكَ – مَرَّةً واحِدَةً – فَما أَحْسَبُكَ تَجْهَلُ اسْمَهُ؛ فَقَدْ أَخْبَرَتْكَ بِهِ كُتُبُ الْجُغْرافِيَةِ.

لَعلَّكَ تَذْكُرُ الْآنَ أَنَّ اسْمَ هٰذا الْبَحْرِ الْواسِعِ الْعَمِيقِ، هُوَ « الْبَحْرُ الْأَبْيَضُ الْمُتَوَسِّطُ ». وَلَعلَّكَ تَعْرِفُ – إِلَى هٰذا – أَنَّ فِي ذٰلِكَ الْبَحْرِ كَثِيرًا مِنَ الْجَزائِرِ!

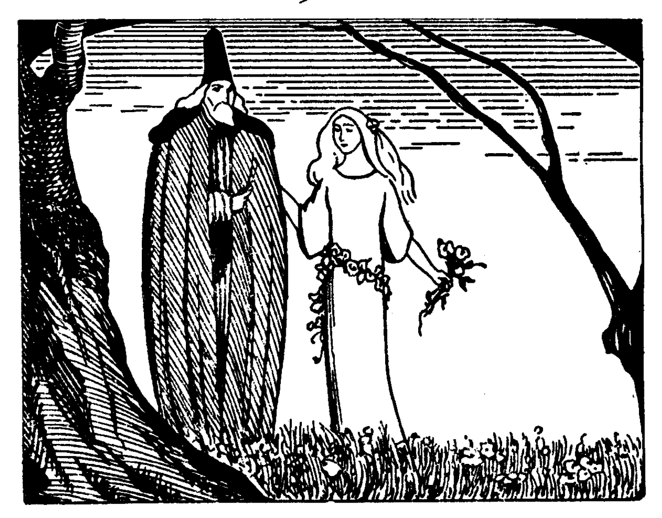
عَلَى أَنَّ الْجَزائِرَ الْكَثِيرَةَ لا تَعْنِينا فِي هٰذِهِ الْقِصَّةِ.

إِنَّما تَعْنِينا جَزِيرَةٌ واحِدَةٌ كانَتْ بَيْنَ « إِيطالْيا » وَ« تُونُسَ ».

فَلْأُحَدِّثْكَ بِما وَقَعَ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ.

٢ - « بُرُسبيرو » و « ميرندا »

لَمْ تَكُنِ الْجَزِيرَةُ مُقْفِرَةً (خالِيَةً مِنَ النَّاسِ). وَلَوْ كانَتْ كَذٰلِكَ لَما حَدَثَتْ فِيها هٰذِهِ الْقِصَّةُ الْجَمِيلَةُ الَّتِى أُرِيدُ أَنْ أَقُصَّها عَلَيْكَ.



كانَ يَعِيشُ فِى الْجَزِيرَةِ شَيْخٌ طَيِّبُ الْقَلْبِ، صافِى النَّفْسِ، اسْمُهُ: « بُرُسْبِيرُو »، وَمَعَهُ فَتاةٌ وَدِيعَةٌ هادِئَةٌ، كَرِيمَةُ النَّفْسِ، اسْمُها:

« ميرَنْدا » . وَقَدْ عاشَتْ مَعَ أَبيها : « بُرُسْبِيرو » فِي تلكَ الْجَزِيرَةِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ ، وكانَتْ قَدْ وَفَدَتْ (قَدِمَتْ) مَعَهُ إِلَيْها وهي طِفْلَةٌ صَغيرَةٌ ؛ فَلَمْ تَذْكُرْ أَنَّها رَأَتْ وَجْهَ إِنْسانٍ آخَرَ غَيْرَ أَبيها .

وَكانَتْ « ميرَنْدا » هٰذِهِ لَطِيفَةً ، جَمِيلَةَ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ (حَسْناءَ الصُّورَةِ ، كَرِيمَةَ الْفَعالِ) . أَمَّا شَعْرُها فَمُرْسَلٌ عَلَى كَتِفَيْها (مُسْبَلٌ غَيْرُ مَضْفُورٍ) ، وَأَمَّا صَوْتُها فَمُنْسَجِمٌ مُوسِيقِيٌّ ، لا تَرْفَعُهُ ثَوْرَةُ الْيَأْسِ وَالْغَضَبِ .

وَصَفْوَةُ الْقَوْلِ أَنَّ « ميرَنْدا » قَدْ جَمَعَتْ — إِلَى جَمالِ الْوَجْهِ — رَجاحَةَ الْعَقْلِ ؛ فَأَحَبَّها أَبُوها حُبًّا شَدِيدًا ، وَأَصْبَحَتْ سَلْوَتَهُ وَعَزاءَهُ وَسعادَتَهُ فِي الْحَياةِ . وَقَدْ مَرَّتْ بِهِما الْأَيَّامُ هَنِيئَةً رَغِيدَةً ، وصَفا عَيْشُهُما ، وطابَ لَهُما الْمُقامُ .

٣ - بَيْتُ « بُرُسْبِيرُو »

وكانَ « بُرُسْبِيرُو » قَدِ اتَّخَذَ لَهُ بَيْتًا فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ فِي أَحَدِ الْكُهُوفِ ، وقَسَمَهُ ثَلاثَ غُرَفٍ : أُولاها لِـ « ميرَنْدا » ، والثّانِيَةُ

لِلمائِدَةِ حَيْثُ يَأْكُلُ مَعَ ابْنَتِهِ ، والثَّالثَةُ لِمَكْتَبَتِهِ حَيْثُ يَقْضِي جُزْءًا مِنْ وَقْتِهِ فِي مُطالَعَةِ كُتُبِ السِّحْرِ ودَرْسِ فُنُونِهِ .

وقَدْ كانَ يَحْرِصُ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ أشَدَّ الْحِرْصِ ، ويُعَلِّقُ عَلَيْها أكْبَرَ الآمالِ .

ولَمْ يَكُنْ « بُرُسْبيرو » يَعْرِفُ هٰذهِ الْجَزِيرَةَ قَبْلَ مَجِيئِهِ إلَيْها ، ولَمْ يَخْتَرْها سَكَنًا لَهُ . ولَمْ يَدُرْ بِخَلَدِهِ (لَمْ يَمُرَّ بِخاطِرِهِ) — مِنْ قَبْلُ — أنَّ هٰذِهِ الْجَزِيرَةَ الْمَجْهُولَةَ سَتَكُونُ وطَنَهُ ووَطَنَ ابْنَتِهِ عِدَّةَ سَنَواتٍ . فَقَدْ جاءَ الْجَزِيرةَ كَما اتَّفَقَ (مُصادَفَةً) ، واضْطَرَّتْهُ الْمقادِيرُ (ما يُقَدِّرُهُ اللهُ مِنَ الْحَوادِثِ) إلى الْبَقاءِ فيها حَتَّى يَأْذَنَ اللهُ لَهُ أنْ يَعُودَ إلى وطَنِهِ .

٤ — السَّاحِرَةُ « سِكُورَكْس »

ولَمَّا حَلَّ « بُرُسْبِيرُو » بِالْجَزِيرَةِ عَرَفَ كَثِيرًا مِنَ الْأَسْرارِ الْعجِيبَةِ الَّتي هَدَتْهُ إلَيْها فُنُونُ سِحْرِهِ . ولَمْ يَكُنْ لِيَسْتَطِيعَ أنْ يَتَعَرَّفَ هٰذهِ الْأَسْرارَ لَوْلا خِبْرَتُهُ الْواسِعَةُ بِأساليبِ السِّحْرِ وَفُنُونِه .

فَقَدْ عَلِمَ أنَّ ساحِرَةً خَبِيثَةً اسْمُها : « سِكُورَكْس » كانَتْ تَسْكُنُ

الجزيرةَ مِنْ قَبْلِهِ ، وأنَّها استطاعَتْ — بما أُوتِيَتْ مِنْ قُوَّةِ السِّحْرِ وسُلْطانِهِ — أنْ تَمْلأَ الْجَزِيرَةَ بطائفةٍ مِنْ أَشْرارِ الْجِنِّ .

ولَمْ تَشأْ أنْ تَتْرُكَ أَخْيارَهُم أحْرارًا ، وَأَبَى عَلَيْها خُبْثُها ولُؤْمُها إلَّا أنْ تَسْجُنَهُمْ فِى جُذُوعِ الْأَشْجارِ .



فَلَمَّا ماتَتْ تلكَ السَّاحِرَةُ الْخَبِيثَةُ ، اسْتَطاعَ « بُرُسْبِيرُو » — بِما أُوتِىَ مِنْ سُلْطانِ السِّحْرِ — أَن يُطْلِقَ سَراحَ هؤُلاءِ الْجِنِّ الْأَخْيارِ الَّذِينَ

أَسَرَتْهُمُ السّاحِرةُ ، وَأَنْ يَتَّخِذَ مِنهُمْ أَعْوانًا وَخَدَمًا يُؤَدُّونَ لَهُ كُلَّ ما يَحْتاجُ إِلَيْهِ .

٥ — « آرِيـلُ »

وَكانَ مِنْ بَيْنِ هٰؤُلاءِ الْجِنِّ الْأَخْيارِ الَّذِينَ أَطْلَقَ « بُرُسْبيرُو » سَراحَهُمْ — بَعْدَ مَوْتِ السّاحِرَةِ الْخَبِيثَةِ — جِنِّيٌّ كَرِيمُ النَّفْسِ ، قَوِيُّ الْبَأْسِ (عَظِيمُ الشَّجاعَةِ ، شَدِيدُ الْبَطْشِ والفَتْكِ) ، اسْمُهُ : « آرِيلُ » . وَكانَ جَمِيعُ سُكّانِ الْجَزِيرَةِ مِنَ الْجِنِّ يَخْضَعُونَ لَهُ ، وَيَدِينُونَ (يُذْعِنُونَ) بِالزَّعامَةِ لِقُوَّتِهِ .

وَقَدْ أَخْلَصَ ذٰلِكَ الْجِنِّيُّ الْكَرِيمُ لِسَيِّدِهِ « بُرُسْبيرو » الَّذِى أَنْقَذَهُ مِنْ سِجْنِهِ ، وَأَصْبَحَ لَهُ خادِمًا أَمِينًا لا يَعْصِى لَهُ أَمْرًا ، ولا يَتَرَدَّدُ فى تَلْبِيَةِ كُلِّ ما يَطْلُبُهُ .

وَكانَ « آرِيلُ » يَبْدُو (يَظْهَرُ) لِسَيِّدِهِ فِى ثَوْبٍ شَفّافٍ ، فِى مِثْلِ لَوْنِ الضَّبابِ ، وَفى وَسَطِهِ حِزامٌ سَماوِيُّ اللَّوْنِ . وَكانَ لَهُ جَناحانِ

شَفَّافانِ يَشُعُّ النُّورُ مِنْ خِلالِهِما ، وَتَدُلُّ سِيماهُ وَهَيْئَتُهُ عَلَى إِخْلاصِهِ وَذَكائِهِ ، وَكَرَمِ نَفْسِهِ .

٦ — « كَلِيبانُ »

وَكانَ إِلَى جانِبِ ذٰلِكَ الْجِنِّيِّ الظَّرِيفِ الْوَفِيِّ شَيْطانٌ آخَرُ



اسْمُهُ : « كَلِيبانُ » ، وَهُوَ ابْنُ السَّاحِرَةِ الْخَبِيثَةِ « سِكُورَكْسَ » الَّتِى حَدَّثْتُكَ عَنْها مِنْ قَبْلُ .

وَكانَ « كَـلِيبانُ » دَمِيمَ الصُّورَةِ ، قَبِيحَ الْوَجْهِ ، سَيِّئَ الْخُلُقِ ، خَبِيثَ النَّفْسِ ؛ كما كانَ أَشْعَثَ (مُتَفَرِّقَ الشَّعَرِ) ، كَرِيهَ الْمَنْظَرِ . وَقَدْ نَبَتَ الشَّعَرُ الْكَثِيفُ عَلَى ذِراعَيْهِ وَساقَيْهِ فَغَطَّاها ، وَجَعَلَهُ أَقْرَبَ إِلَى الْحَيَوانِ مِنْهُ إِلى الإِنْسانِ .

وَلَمْ يَكُنْ — مُنْذُ نَشْأَتِهِ — قادِرًا عَلَى النُّطْقِ ، كما تَنْطِقُ أَيُّها القارِئُ الْعَزِيزُ ، بَلْ كانَ لَهُ صَوْتٌ مُزْعِجٌ أَشْبَهُ بِعُواءِ الذِّئْبِ أَوْ نَبْحِ الكَلْبِ ، مِنْهُ بِصَوْتِ الآدَمِيِّ .

فهُوَ — فِي أَغْلَبِ الأَحايِينِ — يَصْرُخُ وَيَهْدِرُ (يُرَدِّدُ صَوْتَهُ فِي حَنْجَرَتِهِ كَما يَفْعَلُ الجَمَلُ) ، وَيُعَوِّي فى صَخَبٍ (ضَجِيجٍ) مُفْزِعٍ ، وَتَسْتَوْلِي عَلَيْهِ بَواعِثُ الغَضَبِ لِأَتْفَهِ الأَشْياءِ ؛ فَتَتَجَلَّى الشَّراسَةُ (سُوءُ الخُلُقِ وَكَثْرَةُ العِنادِ) والقَسْوَةُ والعُنْفُ فِي كلِّ حَرَكَةٍ مِنْ حَرَكاتِهِ .

٧ — بيْنَ « آزِيلَ » و « كاليبانَ »

وكانَ هٰذا الشَّيْطانُ الخَبيثُ أَسْوَأَ رَفيقٍ لـ « بُرُسْبِيرُو » . ولَمْ يَكُنْ لِصاحِبِنا « بُرسبيرو » بُدٌّ وَلا خَلاصٌ مِنْ مُصاحَبَتِهِ . وَكانَ « بُرُسْبِيرُو » : والِدُ « مِيرَنْدا » — عَلى ما وَهَبهُ اللهُ مِنْ جَمالِ الخُلُقِ ، وصَفاءِ النَّفْسِ — مُضْطَرًّا إِلَى مُعامَلَةِ « كَـلِيبانَ » بِقَسْوَةٍ وفَظاظَةٍ ، وَغِلْظَةٍ وَخُشُونَةٍ . فَأَصْبَحَ يُسَخِّرُهُ ،وَيَسْتَخْدِمُه فِي قَطْعِ الْأَخْشابِ وَحَمْلِها إِلَى دارِهِ ، كما يُسَخِّرُهُ فِي أداءِ كلِّ عَمَلٍ شاقٍّ ؛ حَتَّى لا يَدَعَ لِذٰلِكَ الشِّرِّيرِ الْخَبِيثِ وَقْتًا مِنْ أَوْقاتِ الفَراغ يَصْرِفُهُ فِي الشَّرِّ والضَّرَرِ .

وكان كُلَّما عَمَدَ إِلَى الـكَسَلِ ، أَوْ تَهاوَنَ فِي أَدَاءِ ما عَلَيْهِ مِنَ الفُرُوضِ والواجِباتِ ، هَدَّدَهُ « آزِيلُ » بالعِقابِ ، وصَرَفَهُ إِلى واجِبِهِ ، وأَنْذَرَهُ فِي قَسْوَةٍ وعُنْفٍ بِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَخِفَّ إِلى أداءِ واجِبِهِ — فى إِخْلاصٍ ونَشاطٍ — سَحَقَهُ ، أَوْ نَكَّلَ بِهِ شَرَّ تَنْكِيلٍ ، وآذاهُ شَرَّ أَذِيَّةٍ ، أَوْ أَلْقَى بِهِ فى أَقْذَرِ مُسْتَنْقَعٍ .

وكانَ « آزِيلُ » قادرًا عَلى التَّحَوُّلِ فِى أىِّ شَكْلٍ شاءَ : فَتارَةً تَراهُ فى

شَكْلِ وَحْشٍ ، وثانِيَةً فى شَكْلِ قِرْدٍ ، وَثالِثَةً فى شكلِ قُنْفُذٍ ، وغَيْرِ تِلْكَ مِنَ الأَشْكالِ الْمُفزِّعَةِ الَّتى تَمْلأُ نَفْسَ « كليبانَ » رُعْبًا ، وتَضْطَرُّه إلى تَلْبِيَةِ أمْرِهِ ، والخُضُوعِ لإشارَتِهِ .

ولَيْسَ فى وُسْعِ « كَليبانَ » أنْ يَنْتَقِمَ لِنفْسِهِ مِنْ « آرْيِلَ » إلَّا بالسِّبابِ والشَّتْمِ وتَعْبِيسِ الوجْهِ وتَقْطِيبِهِ . ولَمْ يَكُنْ شيْءٌ مِنْ هذا لِيَضِيرَ « آرْيِلَ » أوْ يُخِيفَهُ مِنْهُ ؛ فَإِنَّ الشَّتْمَ والسِّبابَ أضْعَفُ حِيلَةٍ يَلْجَأُ إليْها العاجِزُ الضَّعِيفُ ، وهما دَلِيلانِ على سُوءِ الْأَدَبِ وخُبْثِ النَّفْسِ .

وما أَحْسَبُكَ — أيُّها الصَّغِيرُ العزيزُ — تَرْضَى عَنْ خُلُقِ « كَلِيبانَ » ، أوْ تَرْضَى عَمَّنْ يُقَلِّدُهُ فيه .

٨ — مَزايا « آرْيِلَ »

أمَّا « آرْيِلُ » فَهُوَ — عَلَى العكْسِ مِن صاحِبِهِ — دائِمُ الابْتِسامِ ، شديدُ النَّشاطِ ، كَثِيرُ الْحَرَكَةِ . وهُوَ — كما قُلْنا — قادِرٌ عَلَى التَّحَوُّلِ إلى أيِّ صُورةٍ أَرادَ ، وَفْقَ ما يَحْلُو لَهُ . فَتارةً تُلْفِيهِ قَدْ تَحَوَّلَ إلى فَتاةٍ جَمِيلَةٍ تَحْمِلُ فى يَدِها طاقَةً من الزَّنْبَقِ ، وَتارةً تَرَاهُ فى صُورةِ عُصْفورٍ .

وكانَ — إلى ذٰلكَ — مُغنِّيًا حَسَنَ الصَّوْتِ ، رائِعَ الغِناء ؛ فأصبح أُنْسَ رِفاقِهِ الْجِنِّ . وَقد كانُوا يُحِبُّونَهُ أَشَدَّ الْحُبِّ ، وَكَثِيرًا ما غَنَّاهُم أَطْيَبَ الْأَغانِي وَأَعْذَبَ الأَناشِيدِ .

وَكانَ — إلى ذٰلكَ — يُهَيْمِنُ عَلَى الرِّياحِ ، وَيُسَيْطِرُ عَلَى أَمْواجِ الْبَحْرِ . فَإِذا شاءَ أَحْدَثَ عاصِفَةً هَوْجاءَ (زَوْبَعَةً تَهُبُّ فِى نَواحٍ مُخْتَلِفَةٍ) ، وَأَثارَ أَمْواجَ الْبَحْرِ ، وأَغرقَ السُّفُنَ وَراكِبِيها ، وَإِذا شاءَ سَكَّنَ الْعاصِفَةَ ، وَجَعَلَ أَمْواجَ الْبَحْرِ هادِئَةً ، فَسارَتِ السُّفُنُ فِى سَلامٍ وطُمَأْنِينَةٍ .

الفصل الأول

١ – هُبوبُ ٱلعاصفَةِ

أَثارَ « بُرُسْبيرُو » – ذاتَ يوْمٍ – عاصِفَةً هَوْجاءَ فى ذٰلِكَ ٱلْبَحْرِ ٱلْعَظِيمِ . ولَمْ يَدْرِ أَحَدٌ – حِينَئِذٍ – لِأَىٍّ سَبَبٍ خَفِىٍّ أثارَ « بُرُسْبيرُو »



هٰذِهِ ٱلعاصِفَةَ ؟ وَقَدْ كانَ مِنَ ٱلْمُسْتَطاعِ أَنْ يرَى ٱلإِنْسانُ فى ذٰلِكَ ٱلْوَقْتِ – إذا وَقَفَ عَلَى شاطِئِ ٱلْجَزِيرَةِ – ارْتِفاعَ ٱلْأَمْواجِ واصْطِخابَها

(تَخَبُّطَها وشِدَّةَ اخْتِلاطِ أصْواتِها) ، وَيَشْهَدَ اضْطِرابَ الْبَحْرِ وَهِياجَهُ ، حَتَّى لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أنَّ أَمْواجَ الْبَحْرِ تُرِيدُ أَنْ تَرْتَفِعَ لِتَبْلُغَ أعْنانَ السَّماء (نَواحِيَها) ، فَتَشْتَبِكَ مَعَها فى حَرْبٍ طاحِنَةٍ . وَقَدِ ارْبَدَّ لَوْنُ السَّماء واغْبَرَّ ، وَأَصْبَحَ كالرَّصاصِ ، وَاسْتَحالَ ضَوْءُ النَّهارِ إِلَى ظَلامٍ حالِكٍ .

وَلاحَتْ - مِنْ بَعِيدٍ - سَفِينَةٌ مُلْتَهِبَةٌ ، تُرَقِّصُها الْأَمْواجُ ، وَتَلْعَبُ بِها ، وَتَتَقاذَفُها كالْكُرَةِ .

٢ - حُزْنُ « مِيرَنْدا »

وَلَمْ تَرَ « مِيرَنْدا » هٰـذا الْمَنْظَرَ الْمُفَزِّعَ حَتَّى صاحَتْ مَذْعُورَةً - وَقَدْ مَلَأَ الْخَوْفُ قَلْبَها - وَقالَتْ لِأَبِيها :

« اُنْظُرْ - يا أَبَتِ - إِلَى هٰذِهِ السَّفِينَةِ الْحائِرَةِ ، واسْتَمِعْ إِلَى صَرَخاتِ مَنْ فِيها ، واسْتِغاثاتِهِمُ الْمُتَصاعِدَةِ فى الْفَضاءِ ، وقَدْ أَشْرَفُوا عَلَى الْغَرَقِ ! إِنَّ قَلْبِي لَيَكادُ يَنْفَطِرُ (يَنْشَقُّ) ، حُزْنًا عَلَى مَنْ فِيها مِنَ النَّاسِ . وَما أَحْسَبُ هٰؤُلاءِ الْمَساكِينَ إِلَّا هالِكِينَ الْآنَ !

تُرَى - يا أَبَتِ - مَنِ الَّذِى أَثارَ الْعاصِفَةَ الْهَوْجاءَ ؟ وأيُّ قَسْوَةٍ

دَفَعَتْهُ إلى إثارَتِها ؟ ألا تَرْحَمُ – يا أبى – هؤُلاءِ الْمَساكِينَ وَتُنقِذُهُمْ مِنَ الْهلاكِ ؟ ألا تأمُرُ الْعاصِفَةَ بالسُّكُونِ ، فَتُنْقِذَ حَياةَ الْمُعَذَّبِينَ ؟ »

فَأَجابَها « بُرُسْبِيرُو » ، فِى حَنانٍ وَعَطْفٍ :

« هَوِّنِى عَلَيْكِ – يا بُنَيَّتِي – وَثِقِى أَنَّ الْعاصِفَةَ سَتَنْتَهِى بِسَلامٍ ، ولَنْ يُصابَ أحَدٌ مِمَّنْ فى السَّفِينَةِ بأقَلِّ ضَرَرٍ . »

فقالَتْ « مِيرَنْدا » وَقَدْ فاضَتْ عَيْناها بِالدُّمُوعِ :

« آهٍ ! يا لَهُ مِنْ يَوْمٍ مَشْئُومٍ مُفَزِّعٍ ! »

٣ – حِوارٌ عَجِيبٌ

فَقالَ « بُرُسْبِيرُو » لِابْنَتِهِ « مِيرَنْدا » :

« سَكِّنِى – يا عَزِيزَتِى – مِنْ رَوْعِكِ ، وَهَدِّئِى مِنْ فَزَعِكِ ، وَلا تَخْشَىْ شَيْئًا ؛ فَإِنِّى لَمْ أُثِرِ الْعاصِفَةَ إلَّا حُبًّا فِيكِ ، وَتَوَخِّيًا لِمَصْلَحَتِكِ (تَحَرِّيًا لِنَفْعِكِ) ، وَإِنْ كُنْتِ لا تَزالِينَ تَجْهَلِينَ الْأَسْبابَ الَّتِى تَحْفِزُنِى (تَدْفَعُنِى) إلَى هٰذا الْعَمَلِ ، وَتَحْكُمِينَ عَلَيَّ بِالْقَسْوَةِ مِنْ غَيْرِ أنْ تَعْلَمِى حَقِيقَةَ ما أُرِيدُ !

أَلَمْ تَسْأَلِي نَفْسَكِ ، يا بُنَيَّتِي — فِي بَعْضِ الْأَحايِينِ — عَنْ أَبِيكِ : مَنْ هُوَ ؟ وكَيْفَ كانَ ؟ ولِماذا نُفِيَ إلى هٰذِهِ الْجَزِيرَةِ النَّائِيَةِ (الْقَصِيَّةِ الْبَعِيدَةِ) ؟ »



فَقالَتْ لَهُ « مِيرَنْدا » :

« كَلَّا — يا أَبَتِ — لَمْ أُفَكِّرْ فِي شَيْءٍ مِنْ هٰذا قَطُّ . »

فقالَ لَها :

« إذَنْ فقَدْ حانَ الْوَقْتُ الَّذِى أُكاشِفُكِ فِيهِ بِالْحَقِيقَةِ . فَأَصْغِى إِلَى ما أَقُصُّهُ عَلَيْكِ ، لِتَتَعَرَّفِى حَقِيقَةَ أَمْرِنا جَمِيعًا .

عَلَى أَنَّنِى أُحِبُّ أَنْ أُطَمْئِنَكِ — قَبْلَ كُلِّ شَىْءٍ — عَلَى مَصِيرِ السَّفِينَةِ وَراكِبِيها ، فَأُقَرِّرَ لَكِ أَنَّ الْعاصِفَةَ — الَّتِى أَزْعَجَتْكِ ومَلَأَتْ قَلْبَكِ فَزَعًا وَخَوْفًا وهَلَعًا — سَتَنْتَهِى بِسَلامٍ . فَقَدْ أَثَرْتُها بِفُنُونِ السِّحْرِ وَبَعَثْتُها ، ولٰكِنَّنِى أَخَذْتُ عَلَى نَفْسِى عَهْدًا وَثِيقًا أَلَّا أُغْرِقَ أَحَدًا مِنْ رَكْبِ السَّفِينَةِ . وَنَوَيْتُ أَنْ أُنْقِذَهُم جَمِيعًا بَعْدَ أَنْ أُذِيقَهُمْ مِنْ ضُرُوبِ الْأَهْوالِ ما لا يَمُرُّ لَهُمْ عَلَى بالٍ . فَلا يَهُولَنَّكِ ما تَرَيْنَهُ ، وَلا يُفَزِّعَنَّكِ ما تُبْصِرِينَهُ (لا يُخَوِّفَنَّكِ ما تَنْظُرِينَهُ) .

وكُونِى عَلَى ثِقَةٍ ، يا بُنَيَّتِى الْعَزِيزَةَ ، أَنَّ هٰذِهِ السَّفِينَةَ الَّتِى تَرَيْنَها — وقَدْ أَوْشَكَتْ أَنْ تَتَحَطَّمَ الْآنَ — لَنْ يَغْرَقَ أَحَدٌ مِمَّنْ فِيها .

وَلَنْ يَمُرَّ عَلَيْهِمْ زَمَنٌ يَسِيرٌ حَتَّى تَرَيْهِمْ قَدْ خَرَجُوا جَمِيعًا إِلَى الْبَرِّ سالِمِينَ ؛ فَإِنَّنِى لَمْ أُرِدْ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ شَرًّا ! »

٤ – ذِكرياتٌ مُحْزِنَةٌ

وَحِينَئِذٍ تَوَقَّفَ « بُرُسْبيرو » عَنِ الْكَلام قليلًا ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ (عادَ إلى الْكَلام) قائلًا :

« ألا تَسْتَطِيعِينَ – يا « ميرندا » – أنْ تَعُودِى بذاكِرَتِكِ إلى أيَّامِ طُفُولَتِكِ الأُولَى ، لَعَلَّكِ تَذْكُرِينَ وَقْتًا قَضَيْتِه فِى غَيْرِ هٰذِهِ الْمَغارَةِ ؟ ما أحْسَبُكِ تَذْكُرِينَ شَيْئًا مِنْ ذٰلِكِ ، فَقَدْ كُنْتِ فِى الثَّالِثَةِ مِنْ عُمُرِكِ . »

فَجَمَعَتْ « ميرندا » كُلَّ فِكْرِها ، ثُمَّ قالَتْ لأبيها : « نَعَمْ ، بَدَأْتُ أذْكُرُ – يا أَبَتِ – شَيْئًا مِنْ ذٰلِكَ الْعَهْدِ السَّعِيدِ . وَإِنِّى لَأَذْكُرُهُ كما أَذْكُرُ حُلْمًا ، وَأَحْسَبُنِى كُنْتُ أرَى خَمْسَ نِساءٍ يَخْدُمْنَنِى ! »

فقال لها « بُرسبيرو » : « لقد مَضَى – يا بُنَيَّتِى – عَلَى ذٰلِكَ الْعَهْدِ اثْنا عشَرَ عامًا ، وَكانَ أَبُوكِ – حِينَئِذٍ – أميرَ « ميلانَ » وحاكِمَها . »

فَقالَتْ لَهُ « ميرندا » ، وقد عَراها (أصابها وألَمَّ بها) شَىْءٌ مِنَ الذُّهُولِ والِاضْطرابِ :

« لستُ أفهمُ ما تَعْنيهِ — يا أبي — بهٰذا الْقَوْلِ ؛ فَأَفْصِحْ لِي عَمّا تُرِيدُ، وخَبِّرْنِي إذن : كَيْفَ حالَتْ — بعْدَ ذٰلِكَ — حالُنا (كَيْفَ تَحوَّلَتْ وتَغَيَّرتْ) ؟ وَكَيْفَ أَقْصَوْكَ عَنْ إمارَةِ « ميلانَ » ؟ وَلِماذا أَبْعَدُوكَ وَجَرَّدُوكَ مِنْ حُكْمِها ؟ »

٥ — قِصَّةُ « بُرُسْبيرو »

— « أَلَا تَذْكُرِين — يا بُنَيَّتِي — أيْنَ كُنَّا قَبْلَ أَنْ نَجِيءَ إِلَى هٰذِهِ الْجَزِيرَةِ ؟ »

— « كَلَّا . لا أَذْكُرُ شَيْئًا مِنْ ذٰلِكَ، يا أَبَتِ . »

— « كُنْتُ — مُنْذُ اثْنَيْ عَشَرَ عامًا — أَمِيرَ « ميلانَ » ، وكُنْتِ أَنْتِ وارِثَتِي الْوَحِيدَةَ . »

— « فَماذا حَدَثَ، يا أَبَتِ ؟ وكَيْفَ انْتَقَلْنا إِلَى هٰذِهِ الْجَزِيرَةِ ؟ »

— « لَقَدْ نُفِينا مِنْ بلادِنا نَفْيًا، وَقَدْ أَوْشَكَتْ (قَرُبَتْ) دَسائِسُ الْأَعْداءِ أَنْ تَقُودَنا إِلَى الْهَلاكِ . وَلٰكِنَّ عِنايَةَ اللهِ — وَحْدَهُ — قَدْ أَنْقَذَتْنا مِنْ كَيْدِهِمْ ، وَأَوْصَلَتْنا إِلَى الْجَزِيرَةِ سالِمَيْنِ . »

— « أيُّ كيدٍ ، وأيُّ دسائسَ ، يا أبي ؟ إنَّ الحُزنَ ليملأُ نفسِي لِهَوْلِ ما أسمعُ ! »

— « كَيْدُ أخِي « أنطُنيُو » ودَسائِسُهُ .

نعَمْ ، كَيْدُ « أنطُنيُو » عمِّكِ الْغادِرِ . فقَدْ فوَّضْتُ إليهِ إمارَتِي ، وتَرَكْتُ لهُ إدارَةَ الحُكُومةِ ، وانصرَفْتُ إلَى دَرْسِ فُنُونِ السِّحْرِ .

وكانَ عمُّكِ . . . آهٍ . . . أمُنْتَبِهةٌ أنتِ إلَى ما أقُولُ ؟ »

— « كُلَّ الانْتِباهِ ، يا أبي . »

— « كانَ عمُّكِ طامِعًا في الانْفِرادِ بِالْمُلْكِ ؛ فَبذَلَ جُهْدَهُ عامِلًا عَلَى إقْصائِي عَنْ بِلادِي ، لِيَخْلُوَ لَهُ الجَوُّ . . . أمُصْغِيَةٌ أنتِ إلَيَّ ؟ »

— « نَعَمْ ، فإنَّ كَلامَكَ — يا أبي — يَشْفِي الأصَمَّ منْ صَمَمِهِ (يُعِيدُ حاسَّةَ السَّمْعِ إلَى مَنْ فقَدَها) . »

— « وكانَ أخِي هٰذا غادِرًا خَئُونًا كالثُّعْبانِ . وقَدْ صَفَوْتُ لَهُ ، ووَثِقْتُ كُلَّ الثِّقَةِ بِهِ ، ومَنَحْتُهُ كُلَّ حُبِّي ؛ فَكانَ جَزائِي عَلَى ذٰلِكَ أنْ غَدَرَ بِي ، وَنَسِيَ ما غَمَرْتُهُ بِهِ مِنْ عَطْفٍ وحُبٍّ . فتَحالَفَ هُوَ وَمَلِكُ « نابُولِي » ، واتَّفَقا جَمِيعًا عَلَى نَفْيِي مِن الْمَدِينَةِ . وَاسْتَوْلَى أخِي عَلَى

ٱلسُّلطانِ ، وأَمَرَ بِوَضْعِنا — أنا وأنْتِ — فى زَوْرَقٍ ، حَتَّى أصْبَحْنا فى عُرْضِ ٱلْبَحْرِ . فَنقَلُونا إلَى سَفينَةٍ طالَ عَلَيْها ٱلْقِدَمُ ، ولَمْ يَكُنْ فِيها شِرَاعٌ وَلا حِبالٌ . »

— « فكَيْفَ وَصَلْنا إلَى ٱلْجَزيرَةِ إذَنْ ؟ »

— « ساقَتْنا إلَيها عِنايَةُ اللهِ وكانَ مَعَنا قَليلٌ مِنَ الطَّعامِ والْماء ٱلْعَذْبِ ، وَضَعَهُ فى سَفِينَتِنا أحَدُ أشْرافِ « نابُولى » واسْمُهُ : « جُنزالُو » . وَقَدِ اخْتارُوهُ — لِحُسْنِ حَظِّنا — رَئِيسًا لِإنْفاذِ مُؤَامَرَتِهِمْ . فوَضَعَ فِى سَفِينَتِنا كُتُبِى ، وَهِىَ أنْفَسُ ما أحْتاجُ إلَيْهِ ، وَهِىَ عِنْدِى خَيْرٌ مِنْ مُلْكِىَ الَّذِى فَقَدْتُه . ووضَعَ — إلَى ذٰلِكَ — كَثِيرًا منَ ٱلثِّيابِ والْحُلَلِ ٱلثَّمِينَةِ . وقَدْ لَطَفَ بِنا اللهُ ، وقَيَّضَ لَنا رِيحًا رُخاءً (أتاحَ ويَسَّرَ لَنا رِيحًا هَيِّنَةً رَفِيقَةً) ، حتَّى بَلَغْنا الْجَزِيرَةَ سالِمَيْنِ . »

— « شَدَّ ما كابَدْتَ (قاسَيْتَ مِنَ الْعَناء) بِسَبَبِى ، يا أبَتِ ! »

— « لَقَدْ كُنْتِ لِى — عَلَى ٱلْعَكْسِ مِمَّا تَظُنِّينَ — مَلَكًا (رُوحًا سَماوِيًّا) كَرِيمًا ، يا بُنَيَّتِى. وكُنْتِ لِى خَيْرَ مُشَجِّعٍ فى الْحَياةِ. وكُنْتِ أكْبَرَ أمَلٍ أتَغَلَّبُ بِهِ عَلَى ما ألْقاهُ مِنَ ٱلْمَصاعِبِ . وَلَوْلاكِ لَكانَتْ حَياتى

مُجْدِبَةً (مُقْفِرَةً غَيْرَ مُثْمِرَةٍ)، لا سَلْوَى فِيها وَلا أَمَلَ . »

— « وَلٰكِنْ خَبِّرْنِي — يا أَبِي — أَيُّ صِلَةٍ بَيْنَ هٰذِهِ ٱلْقِصَّةِ وَبَيْنَ ٱلْعاصِفَةِ ٱلَّتِي أَثَرْتَها عَلَى هٰؤُلاءِ ٱلْمَساكِينِ ؟ »



— « إِنَّ ٱلْمُصادَفاتِ ٱلْعَجِيبَةَ هِيَ ٱلَّتِي ساقَتْ أَعْداءَنا ٱلَّذِينَ تآمَرُوا عَلَى اغْتِصابِ ٱلْمُلْكِ مِنِّي، وَأَوْصَلَتْهُمْ إِلَى هٰذا ٱلْمَكانِ .

وَقَدِ انْتَهَزْتُ ٱلْفُرْصَةَ لِأَضْطَرَّهُمْ إِلَى ٱلنُّزُولِ بِجَزِيرَتِنا صاغِرِينَ (أَذِلَّاءَ خاضِعِينَ) ؛ فَأَثَرْتُ عَلَيْهِمْ هٰذِهِ ٱلْعاصِفَةَ ٱلْهَوْجاءَ (ٱلْمُنْبَعِثَةَ هُنا وَهُناكَ) لِيُعَرِّجُوا عَلَيْنا (يَمِيلُوا إِلَيْنا) . وَمَتَى تَمَّ لَنا ذٰلِكَ، سَهُلَ عَلَيْنا أَنْ نُنَفِّذَ ٱلْخُطَّةَ ٱلَّتِي تُمَكِّنُنا مِنِ اسْتِعادَةِ ٱلْمُلْكِ . »

٦ — نَوْمُ « مِيرندا »

فَنَظَرَتْ « مِيرَندا » إلى أَبيها مَدْهُوشَةً . وعَجِبَتْ مِمَّا قَصَّهُ عَلَيْها أَشَدَّ العَجَبِ . وَلَمْ تَعْرِفْ ما تَقُولُ ، وَلا كَيْفَ تُجِيبُهُ .

فَنَظَرَ إلَيْها مُحَدِّقًا (مُوَجِّهًا نَظَرَهُ بِشِدَّةٍ) وَقالَ لَها :

« لا شَكَّ — يا بُنَيَّتِي — أَنَّ هٰذِهِ القِصَّةَ قَدْ حزَنَتْكِ ، وَنَهكَتْ قُواكِ وأَضْعَفَتْكِ . فَنامِي . . »

وَما أَتَمَّ كَلامَهُ حَتَّى خَضَعَتْ « مِيرَنْدا » لِتَأْثِيرِ نَظَراتِهِ السِّحْرِيَّةِ ؛ فَأَغْمَضَتْ عَيْنَيْها ، واسْتَسْلَمَتْ لِنَوْمٍ عَمِيقٍ .

١ — بين « بُرُسْبِيرو » و « آرْيِلَ »

ولَمْ تَسْتَسْلِمْ « مِيرنْدا » للنَّوْمِ ، حَتى نادَى « بُرُسْبِيرُو » خادِمَهُ الْجِنِّيَّ الْمُخْلِصَ الأَمِينَ « آرْيِل » وقالَ مُتَلَطِّفًا :

« هَلُمَّ إلَيَّ — يا عَزِيزِى « آرْيِلُ » — وَنَفِّذْ ما آمُرُكَ بِهِ فى الْحالِ ، بلا تَوانٍ (بِغَيْرِ بُطْءٍ وَلا تَراخٍ) . هَلُمَّ أَيُّها الرَّفِيقُ الْكَرِيمُ . »

فَتَقَدَّمَ « آرْيِلُ » — فى نَشاطٍ وخُضوعٍ — وقالَ لِسَيِّدِهِ مُتَأَدِّبًا :

« تَحِيَّتِى إلَيْكَ يا مَوْلاىَ الْكَرِيمَ ، يا ذا الْمَجْدِ والرِّفْعَةِ والسُّلْطانِ .

هأَنذا — يا سَيِّدِى — أُلَبِّيكَ وأُجِيبُكَ مُطِيعًا خاضِعًا .

فَمُرْنِى : أَطِرْ فى الجَوِّ ، أَوْ أَسْبَحْ فى قاعِ البَحْرِ ، أَوْ أَعْدُ فى فِجاجِ الأَرْضِ (أَجْرِ فى نَواحِى الدُّنْيا) .

مُرْنِى أَجْلِسْ على مُتُونِ الْغَمامِ ، وظُهورِ السَّحابِ .

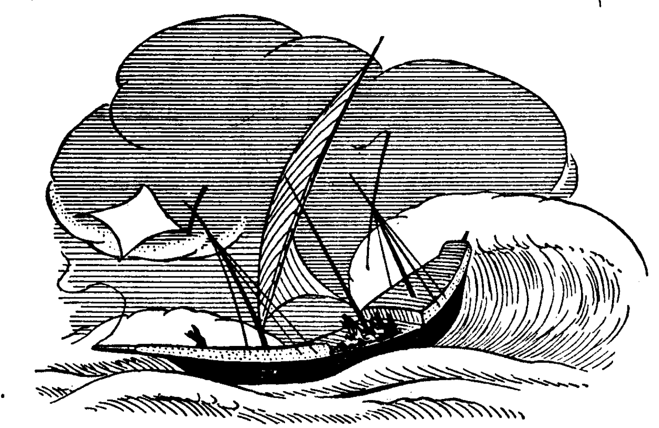
مُرْنِى بِما تَشاءُ — يا مَوْلاىَ — تَجِدْنِى أَطْوَعَ إلَيْكَ مِنْ بَنانِكَ (أَطْرافِ أَصابِعِكَ) ! »

فقال لهُ « برُسْبيرُو » :

« هَلْ أنْفَذْتَ كُلَّ ما أمَرْتُكَ بهِ — فى دِقَّةٍ وإخْلاص — أيُّها الْجنّىُّ الْعزيزُ ؟ »

فقالَ لهُ « آرْيلُ » :

« نَعمْ ، يا مَوْلاىَ . فقدْ أثَرْتُها عاصِفَةً هَوْجاءَ مُرَوِّعَةً (مُخوِّفةً مُفزِّعَة)



مَلأَتْ قُلوبَهُمْ ذُعْرًا وخَوْفًا وهَلَعًا ؛ فَكانُوا — حَيْثُما أدارُوا لِحاظَهُمْ (طَافُوا بِعُيونِهِمْ) — رأَوْا هَلاكًا يَتَهَدَّدُهُمْ ، وَمَوْتًا يَتوَعَّدُهُمْ ، وَلَهَبًا

يَكْتَنِفُهُمْ ، وَنارًا تُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ! فاسْتَوْلَى عَلَيْهِمُ الْيَأْسُ ، وَتَمَلَّكَهُمُ الْفَزَعُ وَالرُّعْبُ مِنْ هَوْلِ ما رَأَوْا . »

فَقالَ لَهُ « بُرُسْبِيرُو » :

« وَهَلِ اسْتَطاعَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَثْبُتَ لِلْهَوْلِ ، وَيَحْتَفِظَ بِرَزانَتِهِ وعَقْلِهِ فى تِلْكَ الْغاشِيَةِ (الْمُصِيبَةِ النَّازِلَةِ) ؟ »

فَقالَ لَهُ « آرْيِلُ » :

« كَلَّا يا سَيِّدِى ، فَقَدْ عَرَتْهُمُ الْحُمَّى (أَصابَتْهُمْ) ، وَتَمَلَّكَهُمُ الْخَوْفُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِمُ الْيَأْسُ وَالذُّهُولُ جَمِيعًا ؛ فَأَلْقَوْا بِأَنْفُسِهِمْ فى الْيَمِّ (الْبَحْرِ) ، مُؤْثِرِينَ (مُفَضِّلِينَ) الْأَمْواجَ الهائِجَةَ الْمُزْبِدَةَ (الْقاذِفَةَ بِالزَّبَدِ) على ذٰلِكَ الْجَحِيمِ الْمُسْتَعِرِ (الْمُلْتَهِبِ) ، وَلَمْ يَبْقَ فى السَّفِينَةِ إِلَّا الْمَلَّاحُونَ (النُّوتِيُّونَ) وَحْدَهُمْ !

وَكانَ « فِرْدِنَنْدُ » ابْنُ الْمَلِكِ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى بِنَفْسِهِ فى الْأَمْواجِ الثَّائِرَةِ الْهائِجَةِ ، وقَدْ قَفَّ (قامَ) شَعْرُ رَأْسِهِ — مِنْ شِدَّةِ الذُّعْرِ — فَأَصْبَحَ كَأَعْوادِ الْغابِ ، وصَرَخَ — وقدْ تَمَلَّكَهُ الْخَوْفُ والرُّعْبُ — :
« يا لَلّٰهِ ! لَقَدِ انْتَقَلَتِ الْجَحِيمُ كُلُّها إِلَى هٰذِهِ الْبُقْعَةِ ، وَفَتَحَتْ أَبْوابَها لَنا ! »

٢ — « آرْيِلُ » يَلْتَمِسُ الْحُرِّيَّةَ

فقالَ لَهُ « بِرُسْبيرو » :

« ما أصْدَقَ ما قالَ ! فَخَبِّرْنى — أيُّها الْجِنِّىُّ الْعزيزُ — هَلْ أَنْقَذْتَهُمْ جَمِيعًا مِنَ الْغَرَقِ ؟ » فقالَ لَهُ « آرْيِلُ » :

« نَعمْ ، يا سَيِّدِى . فَقَدْ سَلِمُوا جَميعًا ، وَلَمْ يَهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ . وهٰكَذا أَنْفَذْتُ إشارَتَكَ — فى دِقَّةٍ وأَمانَةٍ — وَفَرَّقْتُهُمْ شِيَعًا (طَوائِفَ) فى أَنْحاءِ الْجَزِيرَةِ ، وَأَقْصَيْتُ « فِرْدِنَنْدَ » ابْنَ الْمَلِكِ عَنْ أَصْحابِهِ ، وَجَعَلْتُهُ فى عُزْلَةٍ تامَّةٍ (انْفِرادٍ ووَحْدَةٍ) . »

فَقالَ لَهُ « بِرُسْبيرُو » :

« شَدَّ ما أَحْسَنْتَ يا « آرْيِلُ » ، فَقَدْ أَدَّيْتَ ما طَلَبْتُهُ إِلَيْكَ خَيْرَ أَداءٍ ، وَلٰكِنَّ أَمْرَهُمْ لَنْ يَقِفَ عِنْدَ هٰذا الْحَدِّ . »

فَقالَ لَهُ « آرْيِلُ » : « أَيَسْمَحُ السَّيِّدُ أَنْ أَرْفَعَ إِلَيْهِ مُلْتَمَسًا ؟ »

فَقالَ لَهُ « بِرُسْبيرُو » : « اُطْلُبْ ما شِئْتَ ، أَيُّها الجِنِّىُّ الْمُتَرَدِّدُ الْمُوَسْوِسُ . » فقالَ لَهُ « آرْيِلُ » :

«أَلْتَمِسُ مِنْ سَيِّدِى أنْ يَمْنَحَنِى حُرِّيَّتِى بَعْدَ هٰذا . »

فَقالَ « بُرُسْبِيرُو » .

« أَناةً أيُّها الْجِنِّىُّ (مَهْلًا وَصَبْرًا) ؛ فَإِنَّ الْوَقْتَ لَمْ يَحِنْ بَعْدُ ، وَلِكُلِّ شَىْءٍ أجَلٌ وميقاتٌ (مَوْعِدٌ وَوَقْتٌ) . »

٣ — « بُرُسْبيرو » يُهَدِّدُ « آرْيِلَ »

فَأَجابَهُ « آرْيِلُ » : « أَيُرِيدُ السَّيِّدُ مِنِّى أن أَفْعَلَ أَكْثَرَ مِمَّا فَعَلْتُ ؟ » فقالَ لَه « بُرُسْبِيرُو » :

« أَتَمُنُّ عَلَىَّ أنْ أتَيْتَ أمْرًا هَيِّنًا (سَهْلًا) لَمْ يُكَبِّدْكَ أىَّ عَناءٍ ؟ لَعلَّكَ نَسِيتَ « سِكُورَكْسَ » السَّاحِرَةَ الْخَبِيثَةَ الْفَظَّةَ (الْخَشِنَةَ الطَّبْعِ)، وَما كانَتْ تُلْحِقُهُ بِكَ مِنْ نَكالٍ (عُقُوبَةٍ وَعذابٍ) وَتَبْرِيحٍ (أذًى شَدِيدٍ) !

تُرَى هَلْ نَسِيتَ الصَّرَخاتِ الْمُؤْلِمَةَ الَّتى كُنْتَ تُرْسِلُها فى الفَضَاءِ — مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ — كَعُوَاءِ الذِّئابِ ، فَتَرْجُفُ (تَرْتَعِدُ) الدِّبَبُ وَالْوُحوشُ مِنْ هَوْلِها ، وَأَنْتَ سَجِينٌ مَقْهُورٌ فِى جِذْعِ شَجَرَةِ الصَّنَوْبَرِ ؟ »

فأجابهُ « آرْيِلُ » ، فى ضَراعةِ النَّادِمِ ، وَتَذَلُّلِ الآسِفِ :
« رحمةً بى ، وتجاوَزْ عن هٰذه السَّيِّئةِ التى اقترفْتُها (ارْتَكَبْتُها) ! »
فقال له « بُرُسْبيرو » ضاحكًا :
« يالكَ مِنْ مُنْكِرٍ للجميلِ ! عَلَى أنَّكَ إذا تكلَّمْتَ بَعْدَ هٰذا ؛ شَقَقْتُ شجَرَةَ بَلُّوطٍ ، وجَعَلْتُها سِجْنَكَ إلى الأَبَدِ . فاذْهَبِ الْآنَ وأنْجِزْ (أتْمِمْ وَنَفِّذْ) ما آمُرُكَ بهِ ، فإنِّى — إذا فعَلْتَ — مُعْتِقُكَ بَعْدَ يوْمَيْن . هأَنَذا آمُرُكَ ، فأحْضِرْ لِى « فِرْدِنَنْدَ » ، فإننى أُريدُ أنْ أرَى عَنْ كَثَبٍ (أشْهَدَ عَنْ قُرْبٍ) ابْنَ الرَّجُلِ الَّذِى ضَيَّعَ الْمُلْكَ مِنِّى . »
فَقالَ لَهُ « آرْيِلُ » : « السَّمْعُ والطَّاعَةُ لَكَ ! »
ثُمَّ قفزَ — فى خِفَّةٍ وَنَشاطٍ — واسْتَخْفَى عَنْ عَيْنَيْهِ ، ليُحْضِرَ إلَيْهِ مَا طَلَبَ .

٤ — يَقَظَةُ « ميرندا »

وثَمَّةَ انْحَنَى « بُرسْبيرو » عَلَى ابْنَتِهِ وَهِىَ نائمةٌ ، وَقالَ لها :
« اسْتَيْقِظِى ، يا بُنَيَّتِىَ العزيزةَ ، وَهُبِّى (قُومِى وانْهَضِى) مِنْ رُقادِكِ

هَلُمِّى إِلَىَّ لِتَنْظُرِى ما فَعَلَ كليبانُ . »

فقالَتْ لَهُ « مِيرَنْدَا » ، وَهِىَ تَرْفَعُ جَفْنَيْها :

« كَلَّا يا أَبَتِ ، لا أُحِبُّ أَنْ أَرَى أَمامِى هٰذا الشَّيْطانَ . »

فقالَ لَها : « الْحَقُّ معَكِ يا عَزِيزَتى ، فَإِنَّهُ فَظٌّ بَغيضٌ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ . عَلَى أَنَّنا لا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَغْنِىَ عَنْهُ . فَهُوَ الَّذِى يَجِيئُنا بِالْخَشَبِ ، وَيَحْتَطِبُ (يُحْضِرُ الْحَطَبَ) لَنا – كُلَّ يَوْم – وَيُوقِدُ النَّارَ . »

٥ – بَيْنَ « بُرُسْبِيرُو » وَ « كليبانَ »

ثُمَّ صاحَ :

« هَلُمَّ إِلَىَّ ، يا « كليبانُ » . إِلَىَّ أَيَّتُها السُّلَحْفاةُ الْخَبِيثَةُ .

أَلا تُلَبِّى نِدائى ؟ »

فَسَكَتَ « كَليبانُ » لَحْظَةً ، ثُمَّ قالَ لِسَيِّدِهِ « بُرُسْبِيرُو » غاضِبًا :

« أَنَسِيتَ أَنَّ هٰذِهِ الْجَزِيرَةَ الَّتِى تعِيشُ فِيها هِىَ مِلْكٌ لِى وَحْدِى ، وَأَنَّنِى قَدْ وَرِثْتُها عَنْ أُمِّى : « سِكُورَكْسَ » .

ثُم سَلَبْتَنِيها ، واغْتَصَبْتَها مِنِّي بقُوَّتِكَ ، وظُلْمِكَ وَجَبَرُوتِكَ ؟ عَلَى أَنَّكَ لَمْ تَحُلَّ بِهٰذِهِ الْجَزِيرَةِ حَتَّى عَلَّمْتَنِي كَيْفَ أَنْطِقُ وَأَصِفُ ما حَوْلِي مِنَ الْأَشْياءِ ، وَقَدْ أَحْبَبْتُكَ — حِينَئِذٍ — وَمَحَضْتُكَ الْوُدَّ ، وَأَخْلَصْتُكَ الْحُبَّ ، فأَرَيْتُكَ كُلَّ ما فِي الْجَزِيرَةِ مِنَ الْيَنابِيعِ الْعَذْبَةِ وَالْآبارِ الْمِلْحَةِ ، وَالْمُرُوجِ (الْأَرْضِ الْمَمْلُوءَةِ بِالنَّباتِ) وَالْهِضابِ .

فَعَلَيَّ اللَّعْنَةُ إِذْ أَرْشَدْتُكَ إِلَى كُلِّ هٰذِهِ الْخَيْراتِ .

نَعَمْ ، وَلْتَسْقُطْ عَلَيْكَ لَعَناتُ « سِكُورَكْسَ » ، يا جِنْسَ الْخَفافِيشِ ، وَنَسْلَ الضَّفادِعِ ، وَسَلِيلَ الثَّعابِينِ ! »

ثُمَّ وَقَفَ « كَلِيبانُ » عَنِ الْكَلامِ لَحْظَةً ، وَاسْتَأْنَفَ يَقُولُ :

« لَقَدْ كُنْتُ — وَحْدِي — مَلِكَ الْجَزِيرَةِ ، فلَمَّا حَلَلْتَها سَلَبْتَنِي حُرِّيَّتِي ، وَمَلَكْتَ رِقِّي ، وَصَيَّرْتَنِي عَبْدًا ، وَاغْتَصَبْتَ مِنِّي مُلْكِي ، وَلَمْ تَدَعْ لِي مِنَ الْجَزِيرَةِ إِلَّا مَكانًا ضَيِّقًا فِي هٰذِهِ الصَّخْرَةِ الْمُقْفِرَةِ (الْخالِيَةِ) . فَيالَكَ مِنْ جاحِدٍ مُنْكِرٍ لِلْجَمِيلِ !

أَلا فَلْتَسْقُطْ عَلَيْكَ لَعَناتُ أُمِّي « سِكُورَكْسَ » ، وَلْتُنَغِّصْ عَلَيْكَ حَياتَكَ الضَّفادِعُ والْخَنافِسُ وَالْخَفافِيشُ ! »

٦ – « بُرُسْبيرُو » يَتَوَعَّدُ « كَلِيبانَ »

وَلَمْ يُطِقْ « بُرُسْبيرُو » أنْ يَدَعَ « كَلِيبانَ » ماضِيًا في سبابِهِ (مُسْتَمِرًّا في شَتْمِهِ) . مُتَمادِيًا في وقاحَتِهِ ، فَقاطَعهُ قائلًا :

« صَهْ (اسْكُتْ) أيُّها الْأثيمُ . فَلَيْسَ يَجْدُرُ بِكَ إلّا السَّوْطُ ، أمّا الْجَميلُ فَلا يَتْرُكُ في نَفْسِكَ إلّا أَسْوَأَ الآثارِ . أنَسيتَ ما أَسْلَفْتُهُ (قَدَّمْتُهُ إلَيْكَ) مِنْ إحْسانٍ ، وَما غَمَرْتُكَ بِهِ مِنْ عَطْفٍ وحَنانٍ ؟ كَيْفَ ارْتَضَيْتَ أنْ تُقابِلَ مَعْرُوفي بالْإساءَةِ ، وجَميلي بِالْكُفْرانِ ؟

هِيهِ أيُّها الْجاحِدُ . لقَدْ لَقيتُكَ – أَوَّلَ أَمْرِكَ – حَيَوانًا أَبْكَمَ ، وَلَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ مِنَ الْكَلامِ إلّا الصُّراخَ والْعُواءَ ، فَعَلَّمْتُكَ كَيْفَ تَنْطِقُ ، وكَيْفَ تُبينُ عن أغْراضِكَ . »

فأَجابَهُ « كَلِيبانُ » حانِقًا ، غاضِبًا ثائرًا :

« لقَدْ عَلَّمْتَني اللُّغَةَ ، فَشُكْرًا لَكَ إذْ عَلَّمْتَني كَيْفَ أَلْعَنُكَ ، وأدْعُو عَلَيْكَ أن يُهْلِكَكَ الطّاعُونُ جَزاءَ ما عَلَّمْتَنيهِ ! »

فَقالَ لَهُ « بُرُسْبيرُو » :

« صَهْ . اِخْرَسْ أيُّها السَّاقِطُ الْمُرُوءَةِ ، وحَذارِ أنْ تَتَمادَى فى سَفاهَتِكَ وشَتْمِكَ ، وهَذَرِكَ ومُزاحِكَ وهَذَيانِكَ . اذْهَبْ مِنْ هُنا — يا ابْنَ « سِكُورَكْسَ » — فَأَحْضِرْ لَنا وَقُودًا . أسْرِعْ بتَلْبِيَةِ أَمْرِى ، وَلا تَتَوانَ فى ذٰلكَ وَلا تُبْطِئْ ، وَإلَّا مَلَأْتُ عِظامَكَ بِالْأَوْجاعِ والآلامِ الْمُبَرِّحَةِ (الشَّديدَةِ الْأَذَى والْأَلَمِ) جَزاءَ عِصْيانِكَ ولُؤْمِ نَحِيزَتِكَ (خُبْثِ طَبِيعَتِكَ)، وفَسادِ ضَمِيرِكَ وطَوِيَّتِكَ . »

فَمَلَأَ الْخَوْفُ نَفْسَ « كَلِيبانَ » الْغادِرِ ، وتَمَلَّكَهُ الذُّعْرُ ، وقَدْ خَشِيَ أن يُنْفِذَ فيهِ وَعيدَهُ ، فقالَ لَهُ ضارِعًا (خاضِعًا):

« كَلَّا ، لا تَفْعَلْ . وتَجاوَزْ بِفَضْلِكَ عَنْ خَطِيئَتِى وَذَنْبى ، وسَتَرانِى مُذْعِنًا لِأَمْرِكَ ، مُطِيعًا ، مُلَبِّيًا كُلَّ ما تَطْلُبُهُ مِنِّى . »

ثُمَّ أَسْرَعَ « كَلِيبانُ » لِيُنْجِزَ (لِيُتِمَّ) ما أَمَرَهُ بِهِ سَيِّدُهُ « بُرُسْبِيرُو » ، وهُوَ يَقُولُ فى نَفْسِه : « يا لَهُ مِنْ مُتَسَلِّطٍ جَبَّارٍ . فَمَتَى أَخْلُصُ مِنْ إسارِى ، وأَنْجُو مِنْ حَبْسِى ، فَأَسْتَرِيحَ مِنْ وَعِيدِهِ ؟ لا بُدَّ لِى مِنْ تَلْبِيَةِ أمْرِهِ . والْوَيْلُ لِى إذا هَمَمْتُ بِعِصْيانِه ! »

١ – حِيـــلَةُ « آرْيِلَ »

ذَهَبَ « آرْيِلُ » لِيُحْضِرَ « فِرْدِنَنْدَ » كما أَمَرَهُ « بُرسْبيرُو » .

وكانَ « آرْيِلُ » – كَما قُلْنا – ذَكِيًّا لَبِقًا (حَسَنَ التَّصَرُّفِ) ؛ فَسَلَكَ طَرِيقَةً عَجِيبَةً جِدًّا لا تَخْطُرُ عَلَى بالٍ . فَقَدْ ذَهَبَ إِلى « فِرْدِنَنْدَ » ، وَأَخْفَى نَفْسَهُ عَنْ عَيْنَيْهِ ، وظَلَّ يُرَدِّدُ أُغْنِيَّةً جَدِيدَةً يَنْعَى بِها أَبا « فِرْدِنَنْدَ » ، ويُعْلِنُ وَفاتَهُ ، لِيُيْئِسَهُ مِنْ لِقاءِ أَبِيهِ .

وكانَ « فِرْدِنَنْدُ » – حِينَئِذٍ – مَحْزُونًا عَلَى أَبِيهِ ، لا يَعْرِفُ : هَلْ كُتِبَتْ لَهُ السَّلامَةُ ، أَم كانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ؟

ولَمْ يَسْمَعْ أُغْنِيَّةَ « آرْيِلَ » حَتَّى أَرْهَفَ أُذُنَيْهِ ، وتَسَمَّعَ بِانْتِباهٍ ، وَأَنْصَتَ كُلَّ الإِنْصاتِ .

وكانَ « آرْيِلُ » يُغَنِّى وهُوَ سائِرٌ فى طَرِيقِهِ إِلى « بُرسْبيرو » .

وكانَ « فِرْدِنَنْدُ » يَسِيرُ فى طَرِيقِهِ – عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ – مُتَتَبِّعًا الصَّوْتَ السَّاحِرَ الَّذِى يَنْعَى لهُ أَباهُ ، وَيُخْبِرُهُ بِمَوْتِه ، فى شِعْرٍ مُؤَثِّرٍ مُحْزِنٍ .

٢ – نَشِيدُ « آرْيِلَ »

وقَدْ عَجِبَ « فِرْدِنَنْدُ » مِمَّا سَمِعَ ، وظَلَّ يَتَتَبَّعُ – فى انْتِباهٍ شَدِيدٍ – صَوْتَ الجِنِّيِّ ، وهُوَ يُغَنِّيهِ مِنْ غَيْرِ أنْ يَظْهَرَ لَهُ .

وَقَدْ بَدَأَ « آرْيِلُ » أُغْنِيَّتَهُ بِقَوْلِهِ :

« أَبُوكَ يا « فِرْدِنَنْدُ » قَدْ ماتَ ، وَهْوَ غَرِيقُ
طَواهُ بَحْــرٌ خِضَمٌّ نائِى الشُّطُوطِ عَمِيقُ
وَالبَحْرُ – مُنْذُ قَدِيمٍ – إلى الْهَلاكِ طَرِيقُ . »

فَجَزِعَ « فرِدِنَندُ » عَلَى أَبِيهِ ، وعَجِبَ مِنْ غِناءِ الْهاتِفِ (الَّذِى يُسْمَعُ صَوْتُهُ وَلا يُرَى شَخْصُه) ، وسارَ يَتْبَعُ الصَّوْتَ ، فَسَمِعَهُ يَقُولُ :

« أبُوكَ يا « فِرِدِنَنْدُ » قَدْ مات ، وَهْوَ غَرِيقُ
وَنامَ نَوْمًا عَمِيقًـــا فَما تَراهُ يُفِيـــقُ
عِظـامُهُ مَرْجانٌ ، وكُلُّ عَيْنٍ عَقِيقُ . »

فاشْتَدَّ جَزَعُ « فِرْدِنَنْدَ » ، وامْتَلأَتْ نَفْسُهُ حُزْنًا وَأَلَمًا عَلَى مَصِيرِ أَبِيهِ ، وَيَئِسَ مِنْ لِقائِهِ الْيَأْسَ كُلَّهُ .

وَإِنَّهُ لَغارِقٌ فى أَحْزَانِه وَآلامِهِ ، إِذْ سَمِعَ صَوْتَ الْجِنِّيِّ وَهُوَ يُغَنِّيهِ :

« أبُوكَ يا « فِرْدِنَنْدُ » قدْ ماتَ ، وَهُوَ غَرِيقُ
هَوَى إلى القــــاعِ لَمَّا طَواهُ بَحْــرٌ سَحِيقُ
فَاحْزَنْ ، فأَنْتَ عَلَيْهِ — بِكُلِّ حُزْنٍ — خَلِيقُ. »

فَاسْتَسْلَمَ « فِرْدِنَنْدُ » لِأَحْزَانِهِ ، وَبَكَى أَباهُ الْعَزِيزَ بَعْدَ أنْ سَمِعَ الْهاتِفَ يُخْبِرُهُ — فى لَهْجَةِ الْجازِمِ (الْمُتَحَقِّقِ الْمُؤْمِنِ) الْمُسْتَيْقِنِ — أنَّ أَباهُ قَدْ ماتَ وطَواهُ الْبَحْرُ ، وَأَصْبَحَتْ عِظامُهُ مَرْجانًا ، وَعَيْناهُ عَقِيقَتَيْنِ ، وَلَمْ يَعُدْ لَهُ أَمَلٌ فى لُقْياهُ بَعْدَ هٰذَا الْيَوْمِ الْمَشْئُومِ !

٣ — أمامَ الْكَهْفِ

وَما زالَ « فِرْدِنَنْدُ » سائِرًا — وقَدْ تَمَلَّكَهُ سِحْرُ الْإِنْشادِ الرّائِعِ — حَتَّى وَصَلَ إلى كَهْفِ « بْرُسْبيرُو » ، فَرَآهُ واقِفًا عَلَى رَأْسِ صَخْرَةٍ مُرْتَفِعَةٍ ، وإلى جانِبِهِ « ميرندا » . فَعَجِبَ « فِرْدِنَنْدُ » مِمَّا رَأَى . أَمَّا « مِيرَندا » فَلَمْ تَرَ هٰـذا الْإِنْسِيَّ حَتَّى اسْتَوْلَتْ عَلَيْها الدَّهْشَةُ والْحَيْرَةُ . فَالْتَفَتَتْ إلى أَبِيها تَسْأَلُهُ مُتَعَجِّبَةً :

« ترى مَنْ هٰذا ٱلقادِمُ ، يا أَبِي ؟

لَعَلَّهُ جِنِّيٌّ أوْ مَلَكٌ (رُوحٌ سَماوِيٌّ) هَبَطَ مِنَ ٱلسَّماء ! فَلَسْتُ أَذْكُرُ أَنَّنِي رَأَيْتُهُ ، أَوْ رَأَيْتُ مَنْ يُشْبِهُهُ قَبْلَ اليَوْمِ ! »

وكانَ لَها ٱلعُذْرُ فى هٰذا السُّؤَالِ ؛ فَقَدْ عَلِمْتَ — أَيُّها ٱلقارِئُ ٱلصَّغِيرُ — أَنَّ عَيْنَيْ « مِيرَنْدا » لَمْ تَقَعا مِنْ قَبْلُ عَلَى إِنْسِيٍّ سِوَى أبيها . فَلَمَّا رَأَتْ « فِرْدِنَنْدَ » عَجِبَتْ مِنْ رُؤْيَتِهِ ، وَحَسِبَتْهُ جِنِّيًّا أَوْ مَلَكًا ، فَسَأَلَتْ أَباها عَنْهُ . فقالَ لَها :

« لَيْسَ هٰذا ٱلقادِمُ مِنَ الْجِنِّ وَلا مِنَ الْمَلَائِكَةِ كَما تَحْسَبِينَ — يا عزيزتِي — بَلْ هُوَ إِنْسِيٌّ مِثْلُنا . وقَدْ كانَ بَيْنَ رَكْبِ تِلْكَ السَّفِينَةِ الَّتِى رَأَيْتِها مُشْرِفَةً (مُقْبِلَةً) عَلَى الْغَرَقِ . وَهُوَ يَسِيرُ فى الْجَزِيرَةِ باحِثًا عَنْ أبيهِ وَرُفَقائِهِ ؛ لَعَلَّهُ يَظْفَرُ بِلِقائِهِمْ . »

٤ — حِوارُ « فِرْدِنَنْدَ » وَ « مِيرَنْدا »

وَما رَأَتْ « مِيرَنْدا » « فِرْدِنَنْدَ » ، وَسَمِعَتْ قِصَّتَهُ مِنْ أبيها ، حتَّى أَشْفَقَتْ وَحَزِنَتْ لَهُ ، وَعَطَفَتْ علَيْهِ ، وَفَرِحَتْ بِرُؤْيَةِ

الإِنْسِيِّ الظَّرِيفِ ، في الْجَزِيرَةِ النَّائِيَةِ (الْبَعِيدَةِ) الْمُقْفِرَةِ (الخالِيَةِ) ، وَظَهَرَتْ عَلى أَسارِيرِها (خُطُوطِ جَبِينِها) أَماراتُ الْفَرَحِ والسُّرُورِ .

أَمَّا « فِرِدِنَنْدُ » فَلَمْ يَرَ « مِيرَنْدا » أَمامَهُ حَتَّى حَسِبَها – كما حَسِبَتْهُ مِن قَبْلُ – مَلَكًا هَبَطَ مِنَ السَّماءِ ، أَوْ جِنِّيَّةً حَسناءَ ، تَسْكُنُ الْجَزِيرَةَ الْمُنْعَزِلَةَ . فَتَقَدَّمَ إِلَيْها مُتَأَدِّبًا ، وَسَأَلَها ، في حَياءٍ وخَجَلٍ :

« هَلْ تَسْمَحُ لِي مَوْلاتِي أَنْ تُخْبِرَنِي : أَهِيَ مِنَ الْمَلائِكَةِ أَمْ مِنَ الْجِنِّ ؟ »

فَأَجابَتْهُ « مِيرَنْدا » مُتَلَطِّفَةً باسِمَةً :

« كَلَّا يا سَيِّدِي ، ما أَنا بِمَلَكٍ وَلا جِنِّيَّةٍ ، بَلْ أَنا إِنْسِيَّةٌ مِثْلُكَ . »

فاشْتَدَّتْ دَهْشَةُ « فِرْدِنَنْدَ » ، وَفَرِحَ بِرُؤْيَةِ « مِيرَنْدا » ، وَامْتَلَأَتْ نَفْسُهُ رَجاءً وَأَمَلًا .

٥ – بَيْنَ « فِرْدِنَنْدَ » و « بُرُسْبِيرُو »

وَما رَأَى « بُرُسْبِيرُو » « فِرْدِنَنْدَ » و « مِيرَنْدا » مُتَآلِفَيْنِ ، حَتَّى مَلَأَ السُّرُورُ قَلْبَهُ ، وَأَدْرَكَ أَنَّ خُطَّتَهُ الَّتِي أَحْكَمَ تَدْبِيرَها قَدْ

نَجَحَتْ نَجاحًا باهِرًا . فَقَدْ رَأَى أَنَّهُما مُتَحابَّانِ ، وَإِنْ لَمْ يَتَعارَفا قَبْلَ هٰذِهِ اللَّحْظَةِ . وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَتَسَرَّعَ فى أَمْرِهِ ، وأَرادَ أَنْ يُحْكِمَ خُطَّتَهُ ، وَأَنْ يُؤْيِسَ « فِردنَندَ » مِنْ زَواجِهِ بِابْنَتِهِ « ميرَنْدا » ؛ لِيَخْتَبِرَ — بِذٰلِكَ — أَخْلاقَه ؛ ثُمَّ يَمْلأَ نَفْسَهُ أَمَلًا — بَعْدَ يَأْسٍ — فَيَكُونَ لِهٰذا النَّجاحِ أَحْسَنُ الْأَثَرِ فى نَفْسِ « فِرْدِنَنْدَ » . وَثَمَّةَ (هُنا) نَظَرَ إِلَيْهِ « بُرُسْبِيرُو » ، وَقالَ لَهُ ، وَهُوَ يَتَظاهَرُ بِالْقَسْوَةِ عَلَيْه :

« ماذا أَتَى بِكَ إِلَى هٰذِهِ الْجَزِيرَةِ ؟ لَعَلَّكَ أَتَيْتَ لِتَغْتَصِبَها مِنِّى ؟ »

فَقالَتْ لَهُ « ميرَنْدا » مُتَعَجِّبَةً : « لِماذا تَعْنُفُ بِهِ (تَقْسُو عَلَيْه) فى كَلامِكَ ، يا أَبَتِ ؟ وما بالُكَ تُغْلِظُ لَهُ الْقَوْلَ ، وَتُعامِلُهُ كَما تُعامِلُ جارِمًا أَثِيمًا (مُرْتَكِبًا إِثْمًا) ! »

فَتَظاهَرَ « بُرُسْبِيرو » بِالْغَضَبِ مِنْ كَلامِ ابْنَتِه ، وأَسْكَتَها ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلى « فِرْدِنَنْدَ » ، وَقالَ لَهُ فِى لَهْجَةِ الْجادِّ الْمُعَبِّسِ (الْمُقَطِّبِ جَبِينَهُ) :

« ما أَجْدَرَكَ أَنْ تَكُونَ الْجَحِيمُ مَأْواكَ ، وَالنَّارُ مَثْواكَ (مَسْكَنَكَ) ،

وَأَنْ تَلْقَى ما أنْتَ أهْلُهُ مِنْ عَذَابٍ وَنَكالٍ ، حَتَّى يَنْحَنِيَ جِسْمُكَ وَيَتَقَوَّسَ ، وَيَلْتَصِقَ رَأْسُكَ بِقَدَمَيْكَ . فَلْتَبْقَ فى هٰذِهِ الْجَزِيرَةِ عَبْدًا سَجِينًا ، وَلْيَكُنْ ماءُ الْبَحْرِ شَرَابَكَ ، وحَشائِشُ الْأَرْضِ غِذَاءَكَ . »

٦ – خُضُوعُ « فِردِنَندَ »

فلَمْ يَسْتَطِعْ « فِرْدِنَنْدُ » الشُّجاعُ النَّبِيلُ أنْ يَحْتَمِلَ الْإِهانَةَ مِنْ « بُرُسْبِيرُو » ، وامْتَلأَتْ نَفْسُهُ غَضَبًا ؛ فَأَسْرَعَ إلَى سَيْفِهِ ، فاسْتَلَّهُ مِنْ غِمْدِهِ (أخْرجَهُ مِنْ جِرابِهِ) ، وقَدْ عَزَمَ عَلَى قَتْلِ خَصْمِهِ الَّذِى أهانَهُ وَحَقَّرَهُ . ولٰكِنَّهُ لَمْ يَهُمَّ بِذٰلِكَ حَتَّى تَخاذَلَ وَضَعُفَ — أمامَ نَظَرَاتِ « بُرُسْبِيرُو » السَّاحِرَةِ — وَتَفَكَّكَتْ أوْصَالُهُ ، وَتَخَاذَلَتْ أعْضاؤُهُ ؛ فَلَمْ يَعُدْ يَقْوَى عَلَى مُناجَزَةِ خَصْمِهِ (مُحارَبةِ عَدُوِّهِ) الْقَوِيِّ. فَتَشَفَّعَتْ « مِيرنْدا » عِنْدَ أَبِيها ألَّا يُؤْذِيَهُ ، وَرَكَعَتْ أمامَهُ تَسْأَلُهُ — فى ضَراعَةِ الْمُتَوَسِّلِ ، وَذِلَّةِ الْمُسْتَعْطِفِ — راجِيَةً أَنْ يَصْفَحَ عَنْ « فِرْدِنَنْدَ » ، وأَنْ يَتَجاوَزَ عَنْ هَفْوَتِهِ (سَقْطَتِهِ) .

فَقالَ لَها « بُرُسْبِيرُو » ، وهُوَ يَتَظاهَرُ بِالْغَيْظِ وَالْحَنَقِ عَلَى

« فِرْدِنَنْدَ » ، وَيَتَصَنَّعُ الْإِزْراءَ وَالِاسْتِخْفافَ بِهِ :

« إِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ — أَيَّتُها السَّاذَجَةُ الْبَلْهاءُ — خَوَنَةٌ غادِرُونَ ، مِثْلُ « كَلِيبانَ » . وَما رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ يَخْتَلِفُ عَنِ الآخَرِ فِي الْخُبْثِ وَالْمَكْرِ ، وَالْخَدِيعَةِ وَالْغَدْرِ . »

وَرَأَى « فِرْدِنَنْدُ » أَنَّهُ قَدْ عَجَزَ عَنْ مُقاوَمَةِ خَصْمِهِ ، فَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنَ الْإِذْعانِ لَهُ ، وَالْخُضُوعِ لِسُلْطانِهِ . وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّ « بُرُسْبِيرُو » قَدْ أَخْضَعَهُ بِقُوَّةِ السِّحْرِ وَفُنُونِهِ .

٧ — « فِرْدِنَنْدُ » فِي الْأَسْرِ

وَقَدْ عَجِبَ « فِرْدِنَنْدُ » مِمَّا رَأَى ، وَقالَ فِي نَفْسِهِ :

« ما أَغْرَبَ هٰذا الرَّجُلَ ، وَما أَقْوَى سُلْطانَهُ عَلَيَّ ! وَما أَدْرِي : بِأَيِّ قُوَّةٍ اسْتَطاعَ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَيَّ ، وَيُقَيِّدَنِي — مِنْ غَيْرِ قَيْدٍ — وَيَجْعَلَنِي مُفَكَّكَ الْأَوْصالِ (مُنْحَلَّ الْأَعْضاءِ) ، وَكَأَنَّنِي فِي حُلُمٍ مُضْنٍ (مُضْعِفٍ مُمْرِضٍ) ، وَقَدْ أَصْبَحْتُ أَمامَهُ ضَعِيفًا ، لَاحَوْلَ لِي وَلَا قُوَّةَ ؟ شَدَّ ما أَذَلَّنِي هٰذا الرَّجُلُ ، حَتَّى لَأُوثِرُ الْمَوْتَ عَلَى

الْخُضُوعِ لِأَمْرِهِ ، لَوْلا أَنِّى أَجِدُ مِنْ عَطْفِ هٰذِهِ الْفَتاةِ الطَّاهِرَةِ الرَّحِيمَةِ — الَّتِى أَراها إِلَى جانِبِهِ — ما يُعَزِّينِى وَيُصَبِّرُنِى ويُسَرِّى عَنْ نَفْسِى (يَكْشِفُ عَنْها هُمُومَها) ، وَيُهَوِّنُ عَلَىَّ كلَّ ما أُحِسُّهُ مِنَ الْقَهْرِ والْغَيْظِ . »

وَإِنَّهُ لَغارِقٌ فى هٰذِهِ التَّأَمُّلاتِ ، إِذْ نَبَّهَهُ صَوْتُ « بِرُسْبِيرُو » مِنْ أَحْلامِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

« هَلُمَّ — أَيُّها الأَمِيرُ الْفَتَى — فاحْتَطِبْ (اجْمَعْ مِنَ الْحَطَبِ) لَنا ما تَسْتَطِيعُ ، ثُمَّ أَحْضِرْ إِلَى كَهْفِنا (بَيْتِنا فى الْجَبَلِ) ما تَحْتَطِبُهُ مِنْ خَشَبٍ لِلْوَقُودِ . وحَذارِ أَنْ تَتَرَدَّدَ فى تَلْبِيَةِ ما آمُرُكَ بِهِ . »

والْتَفَتَ « بِرُسْبِيرُو » إِلَى « مِيرَنْدا » قائِلًا :

« حَذارِ أَنْ تَأْخُذَكِ فى أَمْرِهِ شَفَقَةٌ أَوْ رَحْمَةٌ ؛ فَهُوَ جَدِيرٌ بِكلِّ شَقاء . »

ثُمَّ سارَ مَعَ « فِرْدِنَنْدَ » إِلَى حَيْثُ الْخَشَبُ والْوَقُودُ ، وَأَرْشَدَهُ إِلَى مَكانِهِما ، لِيَحْتَطِبَ لَهُما كُلَّ يَوْمٍ .

١ – عَطفُ « ميرَنْدا » عَلَى « فِرْدِنَنْدَ »

وَبَيْنا كانَ « فِرْدِنَنْدُ » سائِرًا فى طَرِيقِهِ ، عائدًا إلَى غارِ



« برُسْبيرو » (راجِعًا إلَى ٱلْمغارَةِ ٱلَّتِى ٱتَّخَذَها بَيْتًا لَهُ فى ٱلْجَبَلِ) ، إذْ لَقِيَتْهُ « مِيرَنْدا » – وَكان مَشْغُولًا بالتَّفْكِيرِ فِيها حِينَئِذٍ –

فَلَمْ تَرَهُ حَتَّى أشْفَقَتْ عَلَيْهِ، وَأرادَتْ أن تُساعِدَهُ فى حَمْلِ الْخَشَبِ الَّذِى كَلَّفَهُ أبُوها إحْضارَهُ إلى كَهْفِهِ .

فَدَهِشَ « فِرْدِنَنْدُ » مِنْ كَرَمِ نَفْسِها ، وَأكْبَرَ (عَظَّمَ) مِنْها ذٰلِكَ الشُّعُورَ النَّبِيلَ ، وَقالَ لها :

« إنِّى لَأُوثِرُ أنْ تَشَلَّ يَدِى (أخْتارُ أن تَقِفَ يَدِى عَنِ الحَرَكَةِ) ، أوْ تُبْتَرَ ساعِدِى (تُقْطَعَ ذِراعِى) عَلَى أنْ أُكَلِّفَكِ شَيْئًا مِنَ الْعَناءِ ! »

فَقالَتْ لهُ « مِيرَنْدا » :

« أراكَ عَيَّانَ (عاجِزًا عَنِ الْعَمَلِ) ، وَأَلْمَحُ عَلَى وَجْهِكَ أَماراتِ الجَهْدِ والإعْياءِ (عَلاماتِ الْمَشَقَّةِ والْعَجْزِ) . فَماذا عَلَيَّ إذا خَفَّفْتُ شَيْئًا مِنْ عَنائِكَ ؟ »

فَقالَ لَها :

« حَسْبِى أن أعْرِفَ مِنْكِ هٰذا الْعَطْفَ النَّادِرَ ، وأنْ أتَمَثَّلَ أَمامى هٰذا الرُّوحَ النَّبِيلَ ، فَتَمْتَلِئَ نَفْسِى قُوَّةً أتَغَلَّبُ بِها عَلَى كُلِّ ما أَلْقاهُ مِنْ عَناءٍ وَتَعَبٍ ! »

٢ — مُفاجَأَةُ « بِرُسْبِيرُو »

وَوَقَفا يَتَحَدَّثانِ قَليلًا ، وكان « بِرُسْبِيرُو » عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهُما يَسْتَمِعُ إِلى أَحادِيثِهِما بِحَيْثُ لا يَرَيانِه ، لِأَنَّهُ قَدْ أَخْفَى نَفْسَهُ عَنْ عُيُونِهِما



بِما أُوتِيَهُ مِنْ فُنُونِ السِّحْرِ وسُلْطانِه .

ثُمَّ ظَهَرَ أَمامَهُما فَجْأَةً ؛ فَعَجِبا مِنْ رُؤْيَتِه ، ولَمْ يَعْرِفا كَيْفَ

جاء ، وَمِنْ أيِّ مَكانٍ ظَهَرَ . وخَشِيا أنْ يَدْفَعَهُ الْغَضَبُ إلى إيذائِهِما وَالتَّنْكِيلِ بِهِما .

ولٰكِنَّ « بُرُسْبيرُو » أخْلَفَ ظَنَّهُما ، وقالَ لَهما مُبْتَسِمًا مَسْرُورًا :

« لقَدْ أرَدْتُ أنْ أمْتَحِنَ صَبْرَكُما ، وَأرَى كَيْفَ تَلْقَيانِ الشَّدائِدَ . وَقَدْ رَأيْتُ — مِنْ وَفائِكما وَإخْلاصِكما وَمُرُوءَتِكما — ما مَلأَ قَلْبِي بَهْجَةً وانْشِراحًا . وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى أنْ تكُونِي — يا « ميرَنْدا » — زَوْجَتَهُ وَشَرِيكَتَهُ فى الْحَياةِ ؛ فَأَنْتُما مُتَكافِئانِ (مُتَساوِيانِ) فى النُّبْلِ والشرَفِ ، والْمُرُوءَةِ والْوَفاءِ ! »

٣ — شُكْرُ « فِرْدِنَنْدَ »

وَما سَمِعا هٰذا الكلامَ ، حتَّى خُيِّلَ إلَيْهِما أنَّهُما فِي حُلْمٍ ، وامْتَلأَ قَلْباهُما سُرُورًا وَغِبْطَةً . وَتَوَجَّهَ « فِرْدِنَنْدُ » إلَى « بُرُسْبِيرُو » وشَكَرَ له صَنِيعَهُ أحْسَنَ الشُّكْرِ ، وَلَثَمَ يَدَهُ (قَبَّلَها) عِرْفانًا لِمُرُوءَتِهِ وَكَرَمِهِ ، وقال لهُ :

« سأكُونُ ابْنَكَ الْبارَّ — مُنْذُ الْيَوْمِ — وسَأَبْقَى لِبِنْتِكَ

« ميرَنْدا » نِعْمَ الصَّدِيقُ الْوفِيُّ الأمينُ ، وَأَبْذُلُ نَفْسِى فِداءً لَها مِنْ كلِّ سُوءٍ طُولَ حَياتِى . »

فشَكَرَ لَهُ « بُرُسْبِيرُو » مُروءَتَه ، وَرَبَّتَهُ (ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى كَتِفِهِ مُتَلَطِّفًا) ، ثُمَّ تَرَكَهُ مَعَ « ميرَنْدا » ، وَعادَ مِنْ حَيْثُ أَتَى ، لِيُتِمَّ إِنْجازَ خُطَّتِهِ .

٤ — انْتِقامُ « آرْيِلَ »

وَلَمْ يَشَأْ « بُرُسْبِيرُو » أَنْ يُضِيعَ شَيْئًا مِنْ وَقْتِهِ عَبَثًا ، فَنادَى خادِمَهُ الْجِنِّيَّ الأمينَ ، وقالَ لَهُ :

« إِلَيَّ ، يا رَفِيقِى « آرْيِلُ » ! إِلَيَّ ، أَيُّها الْخادِمُ الْوَفِيُّ الْمُخْلِصُ ! »

فَحَضَرَ إِلَيْهِ « آرْيِلُ » ، وَلَبَّاهُ مِنْ فَوْرِهِ قائِلًا :

« هأَنَذَا — يا سَيِّدِى — فَمُرْنِى بِما تَشاءُ ؛ فَإِنِّى سامِعٌ مُطِيعٌ . »

فقالَ لَهُ « بُرُسْبِيرو » :

« مَاذا صَنَعْتَ بِشَقِيقِى الْغادِرِ « أَنْطُنْيُو » ؟ وَمَاذا صَنَعْتَ بِمَلِكِ « نابُولى » ؟ وماذا صَنَعْتَ بِرُفَقائِهِما جَميعًا ؟

ما أَحْسَبُكَ قَصَّرْتَ فِى شَىْءٍ مِمَّا أَمَرْتُكَ به . »

فقالَ لَهُ « آزِيلُ » :

« لَقَدْ أَنْجَزْتُ مَا طَلَبْتَ — وَفْقَ ما تَشْتَهِي وَتُرِيدُ — فانْتَقَمْتُ مِنْهُمْ شَرَّ انْتِقامٍ ، وَسَخِرْتُ مِنْهُمْ جَمِيعًا حَتَّى كادُوا يَتَمَيَّزُونَ مِنَ الْغَضَبِ (يَتَقَطَّعُونَ مِنَ الْغَيْظِ) .

وَقَدْ أَعْدَدْتُ لَهُمْ مائِدَةً فاخِرَةً علَيْها أَشْهَى أَلْوانِ الطَّعامِ .

وَما رَأَوْها حَتَّى أَسْرَعُوا إِلَيْها مُتَهافِتِينَ (مُتَساقِطِينَ) فِي شَرَهٍ عَجِيبٍ (شَغَفٍ شَدِيدٍ بالأَكْلِ) .

وَكانَ الْجُوعُ قَدْ بَرَّحَ بِهِمْ أَذاهُ واشْتَدَّ ، فَصَبَرْتُ عَلَيْهِمْ ، حتَّى إِذا دَنَوْا مِنْها ظَهَرْتُ أَمامَهُمْ — فِي شَكْلِ حِرْباءَ مُفَزِّعَةٍ (الْحِرْباءُ : حَيَوانٌ زاحِفٌ يَتَلَوَّنُ أَلْوانًا مُخْتَلِفَةً) — فَخَطِفْتُ الْمائِدَةَ ، وَأَخْفَيْتُها عَنْ أَعْيُنِهِمْ . فَتَبَدَّلَ سُرُورُهُمْ جَزَعًا ، وَرَجاؤُهُمْ يَأْسًا ، وَامْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ غَيْظًا مِنِّي ، وَحَنَقًا عَلَيَّ ؛ فَسَلُّوا سُيُوفَهُمْ مِن أَغْمادِها (أَخْرَجُوها مِنْ جِرَاباتِها) مُحاوِلِينَ أَنْ يَفْتِكُوا بِي ، فَسَخِرْتُ مِنْهُمْ قائِلًا :

« اِخْسَئُوا — أَيُّها الأَثَمَةُ — وَتَوارَوْا خِزْيًا ، أَيُّها الْغادِرُونَ !

أَلا تَذْكُرُونَ تِلْكُمُ الْمُؤَامَرَةَ الدَّنيئَةَ الَّتِي دَبَّرْتُمُوها ضِدَّ سَيِّدِكُمْ « بُرُسْبِيرُو » النَّبِيلِ : أَميرِ « مِيلانَ » ؟ أَنَسِيتُمْ أَنَّكُمْ أَسْلَمْتُمُوهُ — مَعَ طِفْلَتِهِ الْبَرِيئَةِ — إِلَى الْبَحْرِ لِيَمُوتا غَرِيقَيْنِ ، وَهُمَا لَمْ يَقْتَرِفا إِثْمًا ، وَلَمْ يَرْتَكِبا ذَنْبًا ؟ اُذْكُرُوا أَنَّ لِكُلِّ جُرْمٍ عِقابًا ، وأَنَّ ساعَةَ الْقِصاصِ (أَخْذِ الْحَقِّ) قَدْ دَنَتْ (قَرُبَتْ) .

فَإِذا شِئْتُمُ النَّجاةَ مِنَ الْهَلاكِ الَّذِي يَتَهَدَّدُكُمْ ، فاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِكُمْ ، وَتُوبُوا مِنْ خَطِيئاتِكُمْ ، وَعاهِدُوا اللهَ عَلَى أَلَّا تَعُودُوا — بَعْدَ الْيَوْمِ — إِلَى الْغَدْرِ والْخِيانَةِ ، ومُقابَلَةِ الْإِحْسانِ بِالْإِساءَةِ . »

فَسَأَلَهُ « بُرُسْبِيرُو » :

« هَلْ نَدِمُوا عَلَى ما فَعَلُوا ، أَيُّها الرَّفِيقُ الْأَمِينُ ؟ »

فَقالَ لَهُ « آرْيِلُ » :

« نَدِمُوا كُلَّ النَّدَمِ . فَقَدْ بَلَغَ بِهِمُ الْيَأْسُ وَتَأْنِيبُ الضَّمِيرِ (تَوْبِيخُهُ) كُلَّ مَبْلَغٍ ، وبَرَّحَ بِهِمُ الْأَلَمُ كُلَّ مُبَرِّحٍ ، حَتَّى تَمَلَّكَهُمُ الذُّهُولُ والْحَيْرَةُ ، لِشِدَّةِ ما اعْتَراهُمْ مِنَ الْفَزَعِ ، والْحُزْنِ والْجَزَعِ . »

فَقَالَ لَهُ « بُرُسْبِيرُو » :

« إنَّ الندَمَ دَليلُ الإِخْلَاصِ . وَقَدْ صَفَحْتُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، بَعْدَ أَنْ صَفَتْ نُفُوسُهُمْ . فَأَحْضِرْهُمْ إِلَيَّ – يا عزيزى « آرْيِلُ » – فَقَدِ اشْتَدَّ شَوْقِي إِلَى رُؤْيَةِ شَقِيقِ « أَنْطُنْيُو » وَأَصْدِقَائِي الْقُدَمَاءِ الَّذِينَ مَعَهُ .

أَسْرِعْ – يا « آرْيِلُ » – فَحَسْبُهُمْ ما لَقُوا مِنْ عَنَتٍ وَشِدَّةٍ (مَشَقَّةٍ وَتَضْيِيقٍ) وَإِرْهاقٍ ، وَتَكْلِيفٍ بِما لا يُطاقُ . »

١ — عَوْدَةُ « آزِيلَ »

وَفى مِثْلِ لَمْحِ ٱلْبَصَرِ ٱسْتَخْفَى ٱلْجِنِّيُّ « آزِيلُ » عَنِ ٱلْأَنْظارِ ؛ وَطارَ فى ٱلْجَوِّ . وَوَقَفَ « بُرُسْبِيرُو » يَرْتَقِبُ عَوْدَتَه بِفارِغِ ٱلصَّبْرِ ، وَقَدِ اشْتَدَّ شَوْقُه إِلى رُؤْيَةِ رُفَقائِهِ ٱلْقُدَماءِ .

وَبَعْدَ قَلِيلٍ سَمِعَ صَوْتَ مُوسِيقَى مُطْرِبَةٍ ؛ فَعَلِمَ أَنَّ صَفِيَّهُ « آزِيلَ » عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهُ . فَناداهُ ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُعَجِّلَ بِإِحْضارِ ثَوْبِهِ وَسَيْفِهِ ، لِيَبْدُوَ أَمامَ رُفَقائِهِ فى زِيِّهِ ٱلَّذِى أَلِفُوهُ مِنْه .

وَما فَعَلَ حَتَّى أَصْبَحَ « بُرُسْبِيرو » فى ثِيابِ الْإِمارَةِ الَّتِى كانَ يَرْتَدِيها أَيَّامَ كانَ أَمِيرَ « مِيلانَ » .

٢ — بُشْرَى ٱلْخَلاصِ

ثُمَّ ٱلْتَفَتَ « بُرُسبِيرُو » إِلى « آزِيلَ » ، وَقالَ لَهُ :

« أَبْشِرْ ، فَقَدْ دَنَتْ ساعَةُ الْخَلاصِ مِنَ الْأَسْرِ ، وَبَعْدَ وَقْتٍ

قصيرٍ سأمنحُكَ حُرِّيَّتَكَ كاملةً ، وأُطلِقُكَ مِنْ إسارِكَ ، أيُّها الرَّفيقُ العزيزُ . »

وما سمِعَ «آزيلُ» مِنْ سيِّدِهِ أنَّهُ قد أصبحَ على وشْكِ الخَلاصِ مِنْ عُبُودِيَّتِهِ ، وقدِ اقتربَ موْعِدُ الظَّفَرِ بحُرِّيَّتِهِ ، والانطِلاقِ مِنْ إسارِهِ ، حتَّى امتلأتْ نفسُهُ غِبْطَةً وسُرُورًا وانشِراحًا ؛ فظَلَّ يُغنِّي مُبتهِجًا بحُرِّيَّتِهِ القريبَةِ .

٣ — بَيْنَ « بُرسبيرو » وأصحابِهِ

وبعْدَ قليلٍ وصلَ أصْحابُهُ إليْهِ ، فكانتْ مُفاجَأةً عجيبَةً ، ومُباغَتَةً غيْرَ مُنتظَرَةٍ . وكانَ مِنْ بيْنِهِمْ « جُنْزالُو » صديقُهُ الحميمُ ، وصَفِيُّهُ الحبيبُ (المتينُ الوِدادِ) ، الَّذِي عُنِيَ بأمْرِ « برُسبيرُو » ، وأحْضَرَ إليْهِ كُتُبَ السِّحْرِ ، ووضعَ في سفينَتِهِ — إلى ذلكَ — كثيرًا مِنَ الثِّيابِ والزَّادِ والماءِ العذْبِ ، كما علِمْتَ — أيُّها القارئُ الصَّغيرُ — في أوَّلِ هذِهِ القِصَّةِ .

وقدْ فرِحَ « برُسبيرُو » برُؤْيَةِ الصَّديقِ الوَفِيِّ الكريمِ ،

وَرَأَى شَقِيقَهُ ٱلْغادِرَ « أَنطُنْيُو » ٱلَّذِى سَلَبَهُ مُلْكَهُ ، وَكانَ سببَ شَقائِه وَتَغْرِيبِه (تَشْتِيتِهِ وَإِبْعادِهِ) . كَما رَأَى « ٱلُنْزُو » مَلِكَ « نابولى » ، و « سِبِسْتِيانَ » شَقِيقَ مَلِكِ « نابولِى » ، وَرَأَى مَعَهُمُ اثْنَيْنِ مِنْ سَراةِ « نابولِى » (سادَتِها وأشْرافِها) ، وَهُما : « أَدْرِيانُ » و « فَرَنْسِسْكُو » .



وَما أَبْصَرَ هؤُلاءِ « بُرُسْبِيرُو » أَمامَهُمْ ، حَتَّى تَمَلَّكَهُمُ الرُّعْبُ والْفَزَعُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى نُفُوسِهِمُ الْخَوْفُ والْهَلَعُ .

وَحارُوا فِى أَمْرِهِمْ ، وَحَسِبُوا أَنَّهُمْ حالِمُونَ (ظَنُّوا أَنَّهُمْ فى عالَمِ الْأَحْلامِ) ؛ فَقَدْ كانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ « بُرُسْبِيرُو » هَلَكَ مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ . فَلَمَّا رَأَوْهُ أَمامَهُمْ غَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ ، وَتَمَكَّنَ مِنْهُمُ الذُّهُولُ .

٤ – حِوَارُ « بُرُسْبِيرُو » و « أَلُنْزُو »

والْتفتَ « بُرُسْبِيرُو » إلى « أَلُنْزُو » مَلِكِ « نابولِي » ، وَقالَ لَهُ :

« إيهِ يا « أَلُنْزُو » ! أَتَذْكُرُ صاحِبَكَ « بُرُسْبيرُو » أميرَ « مِيلانَ » الَّذِى ائْتَمَرْتَ بِهِ – مَعَ « أَنطُنْيُو » – لِتَغْتَصِبَ مُلْكَهُ ؟

إِنَّكَ تَشُكُّ فِى أَنَّنِى لا أزالُ حَيًّا أُرْزَقُ .

وَلَعَلَّكَ تَحْسَبُنِى طَيْفَ « بُرُسْبيرُو » (تَظُنُّنِى شَبَحَهُ وَخَيالَهُ) .

وَلَكِنَّنِى أُزِيلُ ما عَلِقَ بِنَفْسِكَ مِنَ الْوَهْمِ ، فَأُعانِقُكَ لِتَكُونَ عَلَى ثِقَةٍ مِن أَنَّ « بُرُسْبِيرُو » لا يَزالُ عَلَى قَيْدِ الْحَياةِ ، بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَتْهُ الْمَقادِيرُ إِلَى هٰذِهِ الْجَزِيرَةِ النَّائِيَةِ (الْبَعِيدَةِ) . »

وَمَدَّ « بُرُسْبِيرُو » ذِرَاعَيْهِ إِلَى صَدِيقِهِ « أَلُنْزُو » لِيُعانِقَه ، فَذَهِلَ ، وَتَفَوَّهَ (نَطَقَ) بِكَلامٍ مُتَقَطِّعٍ ، وَقَدْ أَفْحَمَتْهُ الْحَيْرَةُ فَأَسْكَتَتْهُ (مَنَعَتْ صَوْتَهُ مِنَ الظُّهُورِ) ، وَقالَ :

« أَأَنْتَ « بُرُسْبِيرُو » حَقًّا ؟ وَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ

« بُرُسْبِيرُو » عَلَى قَيْدِ الْحَياةِ ، وَأَنْ يَكُونَ فِى هٰذِهِ الْجَزِيرَةِ الْقَصِيَّةِ (الْبَعِيدَةِ) ؟ »

٥ — بَيْنَ « بُرُسْبِيرُو » و « جُنْزَالُو »

وَثَمَّةَ الْتَفَتَ « برسْبيرُو » إِلَى صَدِيقِهِ « جُنْزالُو » ، وَمَدَّ إِلَيْهِ ذِرَاعَيْهِ ، وَقالَ لَهُ :

« اِسْمَحْ لى — أَيُّها الصَّدِيقُ الْكَرِيمُ — أَنْ أُعانِقَكَ وأُقَبِّلَكَ . »

وكان « جُنْزَالو » — صَدِيقُهُ الْحَمِيمُ — لا يَزالُ مُتَرَدِّدًا فِى مَعْرِفَتِهِ ، فقالَ لَهُ :

« بِرَبِّكَ : أَصادِقٌ أَنْتَ فِيما تَقُولُ ؟ أَأَنْتَ صَدِيقِى « بُرسْبِيرُو » ؟ أَلَسْتُ مَخْدُوعًا فِى ذٰلِكَ ؟ »

وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الْحاضِرِينَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَقَّقَ صِدْقَ ما رَآهُ أَمامَ عَيْنَيْهِ ، لِما اسْتَوْلَى عَلَى نُفُوسِهِمْ مِنَ الِاضْطِرابِ وَالِارْتِباكِ . فقدِ اجْتَمَعَ الْخَوْفُ والْحَيْرَةُ وَالذُّهُولُ عَلَيْهِمْ ، ورَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ أَصْبَحُوا الْآنَ رَهْنَ رَحْمَةِ « بُرسْبيرُو » : سَيِّدِ الْجَزِيرَةِ ، وَأَنَّ كلِمةً

وَاحِدَةً مِنْهُ كافِيَةٌ أنْ تُورِدَهُمْ مَوارِدَ التَّهْلُكَةِ . وَشَعَرُوا بِالنَّدَمِ وَوَخْزِ الضَّمِيرِ ، وَهُمْ تَحْتَ تَأْثِيرِ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ .

٦ — بَيْنَ « بُرُسْبِيرُو » و « أَنْطُنْيُو »

والْتَفَتَ « بُرُسْبِيرُو » إِلَى شَقِيقِهِ « أَنْطُنْيُو » وَقالَ :

« إِلَيَّ ، أَيُّها الْغادِرُ ! تَعالَ ، أَيُّها الأَثِيمُ ؛ فَلَيْسَ فِي قُدْرَتِي أَنْ أُدَنِّسَ فَمِي ، فَأَدْعُوَكَ شَقِيقِي .

عَلَى أَنِّي سَأَصْفَحُ عَنْ أَعْمالِكَ السُّودِ ، بَعْدَ أَن تَرُدَّ إِلَيَّ إِمارَتِي . »

٧ — دُعاءُ « أَلُنْزو »

وهُنا انْبَرَى « أَلُنْزو » لِلْكَلامِ ، فَقالَ لِصاحِبِهِ « بُرُسْبِيرُو » :

« لَقَدْ حَلَلْتُ هٰذِهِ الْجَزِيرَةَ مُنْذُ بِضْعِ ساعاتٍ ، فَخَبِّرْنِي : مَتَى حَلَلْتَها أَنْتَ ؟ فَإِنِّي فَقَدْتُ فِيها وَلَدِيَ الْعزِيزَ « فِرْدِنَنْدَ » ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ عارِفًا بِمَناحِيها (خَبِيرًا بِأَنْحائِها وَجِهاتِها) ، لِتَبْحَثَ مَعِي عَنْ وَلَدِيَ الضَّائِعِ . »

فَقَالَ « بُرُسْبِيرُو » بِصَوْتٍ خافِتٍ (مُنْخَفِضٍ) :

« وَأَنَا أَيْضًا فَقَدْتُ ابْنَتِي ، مُنْذُ زَمَنٍ وَجِيزٍ . »

فَصاحَ « أَلُنْزُو » مُتَأَلِّمًا :

« يا لَلسَّماء ! إِنِّى لَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَكُونَ وَلَدِى وابْنَتُكَ مُقِيمَيْنِ فِي « نابولى » ، وَأَنْ يُصْبِحا مَلِكَيْنِ عَلَيْها ، إِذا كُتِبَتْ لَهُما السَّلامَةُ مِنَ الْهَلاكِ . »

وَما أَتَمَّ قَوْلَهُ ، حَتَّى أَشارَ « بُرُسْبِرُو » إِلى الصَّخْرَةِ ، فانْفَتَحَتْ ؛ وَبَدَا خَلْفَهَا « فِرْدِنَنْدُ » و « مِيرَنْدا » !

٨ — عَقْدُ الزَّواجِ

وَلَيْسَ فى قُدْرَةِ إِنْسَانٍ أَنْ يَصِفَ لِلْقارِئِ ما مَلَأَ قَلْبَ « أَلُنْزُو » مِنَ السُّرُورِ والْفَرَحِ حِينَ وَجَدَ وَلَدَهُ ، بَعْدَ أَنْ ظَنَّ أَنَّ الْبَحْرَ قَدْ طَواهُ ، وأَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ فى عِدادِ الْمُغْرَقِينَ . فَأَقْبَلَ عَلَى وَلَدِهِ يَضُمُّهُ فِي حُنُوٍّ وَشَوْقٍ . وَقَدْ أُعْجِبَ بِجَمالِ « مِيرَنْدا » ، وامْتَلأَتْ نَفْسُهُ خَجَلًا مِنْ كَرَمِ « بُرُسْبِرو » وَصَفْحِهِ ؛ فَعاوَدَهُ إِحْساسُهُ الْكَرِيمُ ، وَشُعُورُهُ النَّبِيلُ . وَزَالَ الْفَزَعُ مِنْ قُلُوبِ الْحاضِرِينَ ؛

فَأَقْبَلَ «أَلْنزُو» على «فِرْدِنَنْدَ» و «مِيرَنْدا» ، وأمْسَكَ بِيَدَيْهِما مُهَنِّئًا إيَّاهُما بِالسَّلَامَةِ ، وصاحَ قائِلًا :

« لِتَمْلَأْ الْأَحْزَانُ وَالْيَأْسُ — فى كلِّ وَقْتٍ — قَلْبَ مَنْ لا يُبارِكُ لَكُما ، وَلا يَغْتَبِطْ بِزَواجِكُما السَّعيدِ . »

٩ — صَفْحُ « بُرُسْبِيرو »

وهَمَّ « أنطُنيو » أَنْ يُظْهِرَ أَلَمَه وحُزْنَه لِما وَقَعَ لِأَخِيهِ « بُرُسْبِيرُو » ، فقاطَعَهُ « بُرُسْبِيرُو » ، وقالَ لَهُ فِي نُبْلٍ وشَمَمٍ (إباءٍ وَشَرَفٍ) :

« دَعْنا مِنَ الْخَوْضِ فِى ذٰلك التَّارِيخِ القَدِيمِ ؛ فَقَدْ عَفَوْتُ عَمَّا مَضَى كُلِّهِ ! »

فَبَكَى « أَنْطُنْيُو » بُكاءً شَديدًا ، وَقَدْ كادَ النَّدَمُ يَسْحَقُ فُؤَادَهُ ، والْأَسَى يَمْحَقُهُ ويُفَتِّتُ قَلْبَهُ ، بَعدَ ما سَمِعَهُ ورَآهُ مِنْ كَرَمِ شَقِيقِه « بُرُسْبِيرو » .

• • •

أَمَّا « أَلْنزُو » فَقَدْ جَفَّفَ دُمُوعَ عَيْنَيْه خُفْيَةً ، وَقَدْ أَيْقَنَ (عَلِمَ

عِلْمَ الْيَقِينِ) — مِمَّا حَدَثَ — أَنَّ مَمْلَكَةَ « ناپولى » سَيَسْتَوْلِى عَلَى عَرْشِها الْعَرُوسانِ .

وَقَدْ شَكَرُوا جَمِيعًا لِتِلْكَ الْعِنَايَةِ الْإِلٰهِيَّةِ ما قَيَّضَتْهُ لَهُمْ مِنْ سُرورٍ وابْتِهاجٍ ، وما هَيَّأَتْهُ مِن تَوفِيقٍ فى عَقْدِ زَوَاجِ الْعَرُوسَيْنِ السَّعِيدَيْنِ .

١ — وَداعُ الْجَزِيرَةِ

رَأى « بُرُسْبِيرُو » أَنَّ جَمِيعَ أَمانِيِّهِ قَدْ تَحَقَّقَتْ ، فَتَأَهَّبَ (اسْتَعَدَّ) لِلسَّفَرِ مَعَ رُفَقائِهِ . وَأَصْلَحَ « آرِيلُ » سَفِينَةَ الْمَلِكِ ، وَأَيْقَظَ مَلَّاحِيها مِنْ نَوْمِهِمُ الْعَمِيقِ .

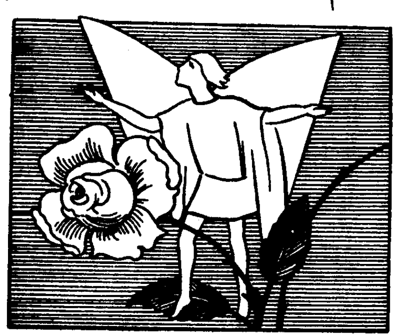
وَدَعاهُمْ « بُرُسْبِيرُو » إِلَى كَهْفِهِ جَمِيعًا ، فَقَضَوْا فِيهِ لَيْلَةَ أُنْسٍ وَسُرُورٍ .

وَلَمَّا لاحَ الصَّباحُ ، خَلَّفَ (تَرَكَ) « بُرُسْبِيرُو » كُتُبَ سِحْرِهِ فِي الْجَزِيرَةِ ، وَحَطَّمَ عَصاهُ السِّحْرِيَّةَ (كَسَّرَها) ، وَأَطْلَقَ سَراحَ الْجِنِّ الَّذِينَ كانُوا فِي أَسْرِهِ (أعاد الْحُرِّيَّةَ إِلَى الْمَسْجُونِينَ مِنْهُمْ) ، وَعَفا عَنْ « كَلِيبانَ » ، وترك لَهُ جَزِيرَتَهُ .

٢ — أُغْنِيَّةُ « آرِيلَ »

ثُمَّ دَعا « آرِيلَ » ، وَمَنَحَهُ حُرِّيَّتَهُ الَّتِي وَعَدَهُ بِها ، بَعْدَ أَنْ شَكَرَ لَهُ إِخْلاصَهُ وَوَفاءَهُ .

فَفرِحَ « آزِيلُ » ، وَشَكَرَ لِسَيِّدِهِ أَحْسَنَ الشُّكْرِ ، وَدَعالَهُ بِالتَّوْفِيقِ .
وَلَمْ يُطِقْ أَنْ يَكْتُمَ فَرَحَهُ وَسُرُورَهُ ؛ فَانْطَلَقَ يُغَنِّي بِصَوْتِهِ السَّاحِرِ :



« الآنَ حُقَّ لِيَ الطَّرَبْ وَبَلَغْتُ - مِنْ دَهْرِي - الأَرَبْ
سأَكُونُ حُرًّا مُطْلَقًا وَأَطِيرُ مِنْ فَوْقِ السُّحُبْ

يا رِفاقِي تَمَّ لِي الْيَوْمَ هَنائِي وَسُرُورِي
لَنْ أُلاقِي فِي حَياتِي مِنْ شَقاءٍ وَنَكِيرِ

يا رِفاقِي : هَنِّئُونِي بَعْدَ أَنْ نِلْتُ السَّعادَهْ
وَجَدِيرٌ بِالتَّهانِي كُلُّ مَنْ نالَ مُرادَهْ

سَوْفَ أَمْشِي فِي اخْتِيالٍ وَتأَنِّي ، سَوْفَ أَمْرَحْ
تَمَّ لِي أُنْسِي فَمالِي لا أُغَنِّي حِينَ أَفْرَحْ ؟

• • •

تَمَّ لِي أُنسِي ، وَأَدْرَكْتُ مُرادِي وَأَتَى يَوْمُ خَلاصِي مِنْ إِسارِي
سَوْفَ أَقْضِي كُلَّ لَيْلِي وَنَهارِي طائِرًا كالنَّحْلِ ، أَشْدُو كالْهَزارِ
بَيْنَ زَهْرِ الرَّوْضِ، أَوْفَوْقَ الرَّوابِي فِي مُتُونِ السُّحْبِ أَوْ مَوْجِ الْبِحارِ
حُقَّ لِي أَنْ أَطْرَبا حُقَّ لِي أَنْ أَلْعَبا
فَلَقَدْ تَمَّ رَجا ئِي وَبَلَغْتُ الْأَرَبا ! »

٣ — فِي مَدِينَةِ « مِيلانَ »

وَبَعْدَ قَلِيلٍ أَقْلَعَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ ، وكانَتِ الرِّيحُ مُعْتَدِلَةً والْجَوُّ صافِيًا . وكانَ « آرْيِلُ » يُغَنِّيهِمْ وَيُساعِدُهُمْ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلى « نابولِي » سالِمِينَ .

وَقَضَوْا حَياتَهُمْ — بَعْدَ ذٰلِكَ — فِي « مِيلانَ » هانِئِينَ . واسْتَراحَ بالُهُمْ ، وسادَ الْوِفاقُ أَهْلَ « بُرُسْبِيرُو » وذَوِيهِ . وَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يُفَكِّرُ فِي أَذِيَّةِ صاحِبِهِ ، أَوْ تَنْغِيصِ عَيْشِهِ ، والْكَيْدِ لَهُ .

وَتَمَّ فِي « مِيلانَ » عُرْسُ « مِيرَنْدا » . وَلَمْ يَنْسَ « أَنْطُنْيُو »

و « ألْنزُو » كَرَمَ « برسْبيرُو » وصَفْحَهُ الْجَميلَ ، وعَفْوَهُ عَنْ ذُنُوبِهما ، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى الِانْتِقامِ مِنْهُما .

أمَّا « بِرُسْبيرُو » فَقَضَى شَيْخُوخَتَهُ وادِعًا مَسْرُورًا بِتَحْقِيقِ آمالِهِ ، وَنَجاحِ مَساعِيهِ .

٤ — ثَمَرَةُ الصَّفْحِ

فَما رَأْيُكَ — أيُّها القارِئُ الْعَزِيزُ — فى مَسْلَكِ « بِرُسْبيرُو » النَّبيلِ ؟ وكَيْفَ وجَدْتَ ثَمَرَةَ الصَّفْحِ والتَّسَمُّحِ ومُقابَلَةِ الْإِساءَةِ بِالْإِحْسانِ ؟ وأيُّهُما كانَ أجْدَى وَأَكْرَمَ ، وَأنْفَعَ وَأشْرَفَ : الْعَفْوُ أَمْ الِانْتِقامُ ؟

تُرَى لَوِ اسْتَسْلَمَ « بِرُسبيرو » لِغَضَبِهِ ، وَعَزَمَ عَلَى الِانْتِقامِ مِنْ أعْدائِهِ ، والتَّنْكيلِ بِهِمْ ، أَكانَ يَصِلُ إلى هٰذِهِ النَّتائِجِ الْباهِرَةِ ، ويَظْفَرُ بِتِلْكَ الثِّمارِ الطَّيِّبَةِ ؟

ولٰكِنَّهُ كَسَبَ قُلُوبَ أعْدائِهِ ، بَعْدَ أَنْ صَفَحَ عَنْهُمْ ، وتَجاوزَ عَنْ إساءَتِهِمْ وَغَدْرِهِمْ ؛ فَكانَ لَهُ فَوْزُ الْمُحْسِنِ الْكَرِيمِ ، وَقَضَى حَياتَهُ فى مَحَبَّةٍ وَسَلامٍ .

انتهت القصة

قطوفٌ من الآراء

فى مكتبة الكيلانى للأطفال

« ... الأُسْتاذُ الكيلانِيُّ كَمقْرَبِ الثَّوانِى : قَصِيرٌ وَلٰكِنَّهُ سَرِيعُ الخُطَى ؛ مُنْتِجٌ ، يَأْتِى بِدَقائِقِ الأُمورِ ... »

شوقى

« ... وَهٰكَذا نَجَحْتَ — يا أُسْتاذُ — فِى أَنْ تُحَبِّبَ إِلَى الأَطْفالِ مَكْتَبَتَهُمْ وَتُغْرِيَهُمْ بِالْمُطالَعَةِ ... »

أحمد لطفى السيد

« ... وتَمْتازُ تَوالِيفُ الكيلانِيِّ بِالْبَساطَةِ فِى التَّعْبِيرِ ، والصِّحَّةِ فِى الأَلْفاظِ ، والرِّقَّةِ فى التَّراكِيبِ ، والدِّقَّةِ فى الأَداءِ ، والسَّلاسَةِ والسُّهولَةِ ، مَعَ اجْتِنابِ كُلِّ غَرِيبٍ ونابٍ ، ومَعَ تَوَخِّى التَّدَرُّجِ بالطِّفْلِ .

هٰذا إِلَى الشَّكْلِ الكامِلِ ، حَتَّى يُؤْمَنَ مِنَ الخَطإِ ، والإِكْثارِ مِنَ الصُّوَرِ الجَمِيلَةِ المُغْرِيَةِ بِالْقِراءةِ ... »

إبراهيم عبد القادر المازنى

« ... ولَوْ لمْ يَكُنْ لِلأُسْتاذِ الْكيلانِيّ إلّا أنّهُ الْمُبْتَكِرُ فِي وَضْعِ مَكْتَبَةِ الأَطْفالِ بِلِسانِ النّاطِقِينَ بِالضّادِ ، لَكَفاهُ فَخْرًا بِما قَدّمَهُ لِرَفْعِ ذِكْرِه ، وَما أحْسَنَ بِهِ إلَى قَوْمِهِ وَعَصْرِهِ ... »

خليل مطران

« ... إنّنِي أشْهِدُ اللهَ ، وَأُشْهِدُ أمامَ خَلْقِهِ ، بِأنّ الرّجُلَ الّذِي انْتَهتْ إلَيْهِ حِكْمَةُ التّرْبِيَةِ مِنْ طَرِيقِ كُتُبِ التّعْلِيمِ هُوَ الأُسْتاذُ « كامل كيلانى » . وسَتَشْهَدُ هٰذِهِ النّهْضَةُ بِهٰذا يَوْمَ يَمُدُّ مَدُّها ويَجِدُّ جِدُّها ... »

البشير الإبراهيمى

« ... وَإنّي لأرجُو أنْ يأْتِيَ الْيَوْمُ الّذِي تَصِيرُ فِيهِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيّةُ سَلِيقَةً عِنْدَ مُتَعَلّمِينا .

فَإذا قُيّضَ لَها ذٰلِكَ ، كانَ الْفَضْلُ راجِعًا فِي مُعْظَمِهِ إلَى كُتُبِ الأُسْتاذِ الْكيلانِيّ ... »

دكتور على مصطفى مشرفة

« ... أهَنّئُكُم بِهٰذا الْعَمَلِ الْمُبْدَعِ الْفَرِيدِ ، الّذِي قُمْتُمْ بِهِ بِإعْدادِكُمْ هٰذِهِ الْمَجْمُوعَةَ مِنَ الْكُتُبِ ... »

دكتور ما كلانهن

رقم الإيداع	١٩٩١ / ٤٣٣٥
الترقيم الدولى	ISBN 977 - 02 - 3326 - 9

١ / ٩١ / ١١٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)